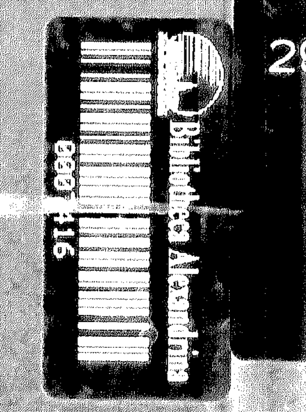
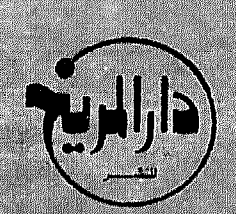
من خصائص الرسول وشمائله

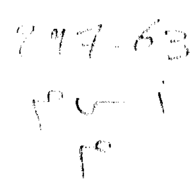
تأليف

الدكتور شعبان محمد إسماعيل

رئيس قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية
كلية التربية بالمدينة المنورة








الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية



987

من خصائص الرسول وشمائله ﷺ

تأليف

الدكتور شعبان محمد اسماعيل

رئيس قسم اللغة العربية والدراسات الأسلامية

كلية التربية ــ بالمدينة المنورة



دار المريخ للنشر والانتاج الفني

ص.ب ١٠٧٢٠

الرياض ــ المملكة العربية السعودية

الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ ــ ١٩٨٠ م

"لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً"

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ٠

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعيـن ٠

وبعــــد :

فان الذى يريد أن يكتب عن حياة أى انسان ، فانه يلتمس له المآثر والصفات التى تظهر مكانته بين الناس ، ولكن الذى يريد أن يكتب عن حياة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بنوع خاص ـ يجد نفسه متحيرا ، ماذا يأخذ من خصائصه وشمائله ، وصفاته الكريمة وأخلاقه العظيمة ، فانها تفوق الحصر ، وتعجز عن البيان ٠

والا فماذا يستطيع الانسان أن يقول بعد قول الله عزل وجل له : (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) ٠

وقوله جل شأنه : (وانك لعلى خلق عظيم) ٠

وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن نفسه : " أنا سيد ولد آدم يوم القيامه ولا فخر ، وبيدى لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبى : آدم فمن سواه الا تحت لوائى ، وأنا أول من تنشق عنه الارض ولا فخر ، وأنا أول شافع ، وأول مشفع ولا فخر "٠ (١)

ولذلك قال الشاعر ـ بعد أن أطنب فى وصفه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ووجد نفسه لم يوفه حقه :

فمبلغ العلم فيه أنه بشـــر وأنه خيـــر خلـــق اللـــه كلهـم

وموضوع الشمائل من المواضيع التى اهتم العلماء بها قديما ، وحديثا ، فألفوا فيها الكتب والموسوعات ، نظرا لاتصالها بأحوال الرسول العملية : فى عبادته ، وخلقـه ، وهديه ، ومعاملاته ، باعتباره الاسوة الحسنة ، والقدوة الطيبة ، التى ينهل منها الجميع امتثالا لقوله تعالى :

(لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا) (٢)

---

(١) الزرقانى على المواهب اللدنية (٣٥٢/٨) ٠

(٢) سورة الاحزاب آية (٢١) ٠

ولاعجب فى ذلك ، فلقد كانت حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ كلها تطبيقا وامتثالا لاوامر الله تعالى ونواهيه .

وقد حاولت بجهدى المتواضع أن أغترف شيئا من خصائص الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشمائله ، ليكون نبراسا يستضاء به ، ومنهاجا نسير عليه ، فان الخير كل الخير فى الاقتداء به ، والسير على منهاجه ، عملا بقوله تعالى :

(من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا) (١)

وقوله جل شأنه :

(وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا) (٢)

وانا لنسأل الله تعالى أن يرزقنا حسن الاتباع ، وتمام الامتثال ، انه نعم المولى ونعم النصير .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ،

المدينة المنورة فى :
غرة ربيع الاول ١٤٠٠ هـ

شعبان محمد اسماعيل

---

(١) سورة النساء آية (٨٠) .
(٢) سورة الحشر آية (٧) .

من الخصائص المحمدية

من الخصائص المحمدية

النسب الشريف

قال ابن هشام فى نسبه ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " هو : محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان " (١)

ويقول ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن نفسه :

" ان الله اصطفى من ولد ابراهيم : اسماعيل ، واصطفى من ولد اسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم " (٢)

زواج عبد الله من السيدة آمنه

كان بيت عبد المطلب بن هاشم ، وبيت وهب ابن عبد مناف من أعلى البيوت فى قريش ، اذ كان عبد المطلب بن هاشم سيد بنى هاشم .

وكان وهب بن عبد مناف سيد بنى زهرة .

وكان كلا البيتين موسوما بالشرف والكرامة والطهر والعفاف ورعاية الدين والفضيلة ، فكان زواج عبد الله بن المطلب من آمنة بنت وهب زواجا موفقا ميمونا . اتحد فيه عنصر طيب بعنصر طيب . وانضم به عنصر كريم الى أصل كريم . وأصهر بيت عريق فى شرف الاباء وطهر الامهات الى بيت يكافئه فى الشرف والطهارة فكان من الطبيعى أن تكون ثمرة هذه المصاهرة ثمرة طيبة مباركة . وأن يكون نسل هذا الزواج نسلا طاهرا كريما (٣)

وصدق الله العظيم اذ يقول : (والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ، والذى خبث لايخرج الا نكدا) (٤)

موت عبد الله

وكان لقريش رحلتان للتجارة : رحلة فى الشتاء الى بلاد اليمن وما وراءها ، ورحلة فى الصيف الى بلاد الشام ومايجاورها .

وكانت القوافل فى كلتا الرحلتين تقوم من مكة محملة بمنتجاتها من الصوف والشعر والوبر والجلود . وتعود محملة ببضائع الشام والعراق ومصر واليمن وبلاد الحبش .

---

(١) سيرة ابن هشام (١/١) .
(٢) رواه مسلم والترمذى .
(٣) صور من حياة الرسول ص ٣٧ .
(٤) الاعراف (٥٨) .

وكان عبد المطلب يحب أن يأخذ أبناءه بالمراس فى أساليب التجارة فكان يرسلهم واحدا بعد واحد فى رحلة الشتاء والصيف . فلما كانت هذه الرحلة وقع اختياره فيها على عبد الله (١) .

كانت هذه الرحلة ــ فى هذه المرة ــ قاصدة الى بلاد الشام . وكان الوقت صيفا والحر شديدا والسفر مضنيا . وكانت ظروف عبد الله ــ كلها ــ تدعو الى الاقامة . ولكن عبد الله لم يشأ أن يخالف أمر أبيه ، واندفع مع القافلة فى الصحراء المترامية الاطراف ، متعرضا لاخطارها ومشقاتها . وترك وراءه زوجه وهى حديثة عرس به .

وانطلقت القافلة فى طريقها الى الشام تقطع الفيافى البعيدة ، وتصطلى وقدة الشمس التى تذيب الرؤوس . وحرارة العطش التى تفتت الاكباد . وتعانى من قسوة الصحراء ما تعانى حتى وصلت الى أسواق الشام ، فباعت ما معها . واشترت حاجتها ثم قفلت راجعة من حيث جاءت حتى وصلت فى طريقها الى مدينة يثرب .

وكان عبد الله قد مرض أثناء الطريق . وأنهك قواه طول السير فى الصحراء . فأوى الى أخوال أبيه فى المدينة ليستجم ويستريح ويقيم عندهم أياما حتى يبل (٢) من مرضه . أما القافلة فقد تركت رفيقها عبد الله عند أخواله وواصلت سيرها الى مكة لتصل اليها فى الموعد المعتاد .

وكان آل عبد المطلب قد تهيئوا للقاء هذه القافلة كما تهيأ للقائها غيرهم ودخلت القافلة مكة يحيط بها جمع حاشد من الشباب . وهلل الناس واندفع كل حبيب الى حبيبه يعانقه ويقبله . وأخذ عبد المطلب يدور بعينيه فى القادمين . يحاول أن يرى ولده عبدالله فلا يراه . ويسأل .. أين عبد الله ياقوم ؟.

قال قائلهم : لقد مرض عبد الله فى الطريق . وتخلف عند أخواله فى يثرب ليستريح عندهم أياما ثم يعود .

وفوجىء عبد المطلب بما لم يتوقع . ولكنه لم يلبث أن تمالك نفسه . وأمر ولده الحارث ان يذهب على الفور الى يثرب ليحمل أخاه عبد الله قد مات ودفن هناك عند أخواله . فعاد الى مكة وألقى الى أبيه بالنبأ المشئوم . فاضطرب عبد المطلب له اضطرابا شديدا . وتحير كيف يلقى هذا النبأ الفاجع الى آمنة بنت وهب . الا أن آمنة أدركت كل شىء وعرفت كل شىء حين نظرت الى وجه الشيخ . وكانت حينئذ حاملا برسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) صور من حياة الرسول ص ٤٠ ومابعدها .
(٢) يبل : يشفى .

مولده صلى الله عليه وسلم

لم يستبد الحزن بآمنة بنت وهب • ولم يجثم على صدرها طويلا • فالهواتف كانت تتوارد على نفسها بأنها ليست وحيدة • وأن موت عبد الله لم يكن شرا يراد بها • وان الغد القريب ينتظرها بخير كثير •

وفى احدى الليالى آوت آمنة الى فراشها ــ كعادتها فرأت كأن طيفا لطيفا يدنو منها ثم يهتف بها فى همس " لقد حملت بسيد هذه الامة " (١)

وانتظرت آمنة أن تحس ما تحسه الحوامل من أسباب الضعف والوهن • ولكنها لم تجد ضعفا ولا وهنا • لكن ذلك الهاتف كان حريصا على ألا يترك للشك مجالا فى نفسها اذ كان يعاودها من حين الى حين فيلقى اليها فى كل مرة نبأ جديدا •

فقد انبأها ذات ليلة بأنها حملت بسيد هذه الامة • ومرة أنباها بأنها ستكون أما لخير أهل الارض • ومرة أخرى أمرها أن تسميه محمدا •

ومازالت كذلك • بين الشك واليقين • حتى أحست بشائر الحمل واستبانت حقيقته ، هنالك صدقت أن هذه الهواتف لم تكن الا هواتف صدق وأن حملها هذا لابد أن يكون له شأن (٢) •

وفى احدى الليالى رأت فيما يرى النائم • كأن نورا قد خرج منها فأضاء مابين المشرق والمغرب حتى رأت على ضوئه قصور بصرى من أرض الشام • ومازالت آمنة تتوالى عليها البشائر والايات ، حتى أتمت شهور الحمل ، وولدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك فى يوم الاثنين الثانى عشر من شهر ربيع الاول فى العام الذى حدثت فيه حادثة الفيل ، اذ جاء أبرهة الاشرم وأصحابه ليهدموا الكعبة فأرسل الله عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول (٣)

وكان ذلك فى سنة ٥٧١ م • على خلاف فى هذا التحديد •

الارهاصات التى صاحبت الميلاد الشريف

وقد روى البعض أن ارهاصات بالبعثة وقعت عند الميلاد ، فسقطت أربع عشرة شرفة من ايوان كسرى ، وخمدت النار التى كان يعبدها المجوس ، وانهدمت الكنائس حول بحيرة "ساوة" بعد أن غاضت •

---

(١) ابن هشام (١/١٠٣) •
(٢) صور من حياة الرسول : ص ٤٢ •
(٣) الفتح الربانى (٢٠/١٨٢) •

قال البوصيرى :

أبان مولده عن طيب عنصره	ياطيب ما ابتدأ منه ومختتم
يوم تفرس فيه الفرس أنهم	قد أنذروا بحلول البوءس والنقم
وبات ايوان كسرى وهو منصدع	كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم
والنار خامدة الانفاس من أسف	عليه والنهر ساهى العين من سدم
وساء ساوة أن غاضت بحيرتها	ورد واردها بالغيظ حين ظمى

والعجب ان كثيرا من الكتاب ينكرون مثل هذه الامور التى صاحبت ميلاد خير البشر والذى كانت رسالته أعظم رسالة عرفتها البشرية ، فهو الذى أرسله الله عز وجل لتحرير العقول من الاوهام ، ولتحقيق المساواة بين الناس ، وأنه لا معبود بحق الا الله ، وأن عهد الظلم قد أذن بالرحيل ، فاذا ما تهدمت قصور الظلمة ، وطفئت النيران التى كانت تعبد من دون الله كان ذلك متمشيا مع طبيعة المخلوقات المختلفة التى تقر بأن لها ربا واحدا هو الذى ذرأها ، وأنها لا تسجد ولا تخضع الا له مصداقا لقوله تعالى : (ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس ، وكثير حق عليه العذاب) (١)

وما أجدر ما قاله أستاذنا فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى فى هذا المقام ، فانه جدير بالنقل حيث قال :

انسجام الانسان وأجناس الوجود

رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ليعيد انسجام الانسان مع الوجود ، ومعنى انسجام الانسان مع الوجود أن الوجود بجماده ونباته وحيوانه خاضع مسخر لله لايمكن أن يصدر عنه شىء الا بمراد الله منه ولكن الانسان نفسه هو الذى جاء منه الطائع ، وجاء منه العاصى ، ولذلك يعرض الحق هذه القضية ، مع عدم انسجام الانسان مع الوجود الخاضع الساجد الخاشع . يقول الحق (ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ، ومن فى الارض ، والشمس والقمر والنجوم ، والجبال والشجر والدواب) تلك هى أجناس باجماع ساجدة خاضعة لله ، ولكنه حين جاء عند الانسان لم يأت ذلك الاجماع ، فقال (وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب) وكان من المفروض أن ينسجم الانسان مع الوجود كله ، فيكون خاضعا لمنهج الله ، كما أن الوجود كله خاضع لمنهج الله ، والوجود الخاضع لمنهج الله يحب الانسان الخاضع لمنهج الله ، يأتلف معه ، وينسجم معه ، ولا ينسجم شىء من الوجود الا مع الانسان الطائع ، أما الانسان العاصى ، فهو يشكل شقاقا بينه وبين أجناس الوجود : وجود مسبح .. وجود ساجد ، وجود خاشع ، وانسان متمرد عاص .

(١) سورة الحج (١٨) .

هل يفرح الوجود بالانسان :

حين يأذن الله سبحانه وتعالى ليعيد للانسان بمنهج الله انسجامه مع الوجود ، فلا بدعة اذن أن يفرح ذلك الوجود بمن يعيد اليه انسجام الانسان معه ، وذلك هو الشأن معه صلى الله عليه وسلم ، جاء ليعيد انسجام الانسان مع الوجود كله ، ليأتى بالمنهج النهائى لهدى الانسان ، ليكون الانسان خاضعا مع بقيـة أجناس الكون لله سبحانه وتعالى ، اذن فلا عجـــب أن يفرح به الوجود ، لا عجب أن يفرح به الجماد ، ولا عجب أن يفرح النبات ، ولا عجب أن يفرح به الحيوان ، ولا عجب أن تفرح به الملائكة ، ولا عجب أن يفرح به طائع الجـن .

اذا فاذا حدثنا : أن ميلاده ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد قرن بأشياء حدثت فى الكون من ارهاصات فى الوجود كله بميلاده فيجب علينا الا نستبعد ذلك . لانه هو الرسول الذى يعيد للانسان انسجامه مع الوجود كله ، والوجود كله كما نعرفه ، ليست فيه الحياة التى نعرفها فى نفوسنا ولكن له حياة وله تعقل فى التلقى عن الله وله فرح وله حزن .

وقد شاء الحق سبحانه وتعالى أن يعرض لنا هذه القضية عرضا اجماليا ، لنعرف أن الكون كله عبد لله . وخاضع له فقال (وان من شئ الا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم) (١) .

اذا " ان من شئ " أى كل شئ فى الوجود مسبح ، ولكننا ألفنا التسبيح بألفاظ ، وألفنا التسبيح بلغة ، فلما لم نسمع من الكون ألفاظا ، ولما لم نسمع من الكون لغة . قال بعض العلماء : انه تسبيح الدلالة على وجود الله وعلى وحدانيته . نقول لهم مرحبا ، له تسبيح الدلاله ولكن ذلك لا يمنع من التسبيح الحقيقى ، لانه ان كان تسبيح دلالة كما تقولون ، فالحق قال : (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) وأنتم قد فقهتموه ، اذا فهو غيرهم ، والذى يدل على ذلك أن الحق سبحانه وتعالى عرض من أجناس الوجود أشياء ، وجعلها تشترك أيضا مع الانسان . فيقول فى شأن داود " ياجبال أوبى معه ، ومعنى أوبى : رجعى تسبيح الله . أى يجب أن يوافق ترجيعك ياجبال ترجيع داود : (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن) (٢) والجبال مسبحة مع داود ، ومع غير داود ، ولكن الامر .. أن يتفق تسبيح الجبال مع تسبيح داود ليكون كأنه عرس توحيدى فى الكون ، وأيضا الحق سبحانه وتعالى يعرض لنا أن لجميع الاجناس منطقا ، ولها لغة ، جهلنا بها ، هو الذى جعلنا لا نفقهها ، فاذا علم الله انسانا من خلقه لغة هذه الاشياء ، أمكنه أن يفقه تسبيحها ، وأن يفقه منطقها اقرأوا ان شئتم قول الله : (قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) (٣) .

---

(١) الاسـراء (٤٤) .
(٢) الانبياء (٧٩) .
(٣) النمـل (١٨) .

قالت ، وسمعها سليمان ، وحمد الله تعالى على أن أنعم عليه بأن فهم لغة النملة ، قد يقال ان تلك أمور تعلمتها النملة ، لتحافظ على نوعها . بدليل (لايحطمنكم سليمان وجنوده) فهى تحافظ على بقاء النوع ، نقول له لا . حينما عرض الحق أيضا ، قصة هدهد سليمان ، فماذ قال الهدهد قال : (وجئتك من سبأ بنبأ يقين ، انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ، ولها عرش عظيم) (١) هذا كلام الخبر ، ولكن الذى يهمنا فى قضية العقيدة والتوحيد ، وأنها أمر سائر فى كل أجناس الكون ، أن يقول الهدهد (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) (٢) .

هذا ما حز فى نفس الهدهد : أن يسجدوا للشمس من دون الله ، اذا فالهدهد يعرف من يجب أن يسبح له ، ومن يجب أن يسجد له (ألا يسجد لله الذى يخرج الخبء فى السموات والارض) (٣) .

اذا فاذا عرضت لنا السيرة ، أن أشياء من الكون فرحت برسول الله ، وحدثت أشياء منها ، فذلك أمر لا نستبعده على كون مسبح لله ، عارف بحق الله ، وأيضا ، لسنا نحن المطلوبين بأن نؤمن بهذا ، ولكن الذين آمنوا ، هم الذين شاهدوها ، هم الذين سمعوها فالذين سمعوها ، حجة على أنفسهم ، ونحن نتلقى عنهم الخبر ، فان كنا موثقين لهم فى الخبر صدقناه ، وان لم يتسع ظننا لتوثيق الخبر ، فنحن أحرار فى أن نصدق أو لا نصدق ، ولكن منطق الاشياء ، ومنطق الوجود لايحيل وجود شىء من ذلك ، فاذا حدثنا ، أن ايوان كسرى قد شق ، فماذا فى ذلك وما فى ذلك من العجب ؟ أنستبعد أن يوقت شق الايوان بالميلاد ، أنستبعد على الله أن يخمد نار فارس ، وأن يوقتها مع الميلاد ، أنستبعد على الله أن يوقت أن تغيض بحيرة ساوة مع الميلاد ، لماذا هذا ؟ اذا ، فالقرآن حين يعرض لهذه القضية . يعرض لما حدث فى الكون فى عام الفيل .

حفظ المبنى والمعنى

فى عام الفيل ، نعلم أن قوما جاءوا ليهدموا بيت الله ، وبيت الله هو الذى اختاره الله لنفسه ، وحوله ونحوه نلتف جميعا فى الصلاة ، هذا البيت له قالب ، هذا القالب أريد به ضر وهدم ، فلماذا لا نفهم أن الحق سبحانه وتعالى ، حافظ على مبنى البيت فى ذلك العام ، فتكون المحافظة على المبنى بمنع أبرهة من هدمه ، هى عينها المحافظة على بقائه لربه ، بميلاد محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، واذا كان الحق قد عرض لنا هذه القضية ، فانه قدعرضها عرضا عجيبا ، هذا العرض العجيب ، يتجلى فى قوله : (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم فى تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول) (٤) .

---

(١) النمل (٢٣) .
(٢) النمل (٢٤) .
(٣) النمل (٢٥) .
(٤) سورة الفيل .

ورسول الله لم ير وقتها ، ولكنه علم بالقضية من الله ، هنا نلتفت لفتة هامة : هذه اللفتة ، هى لماذا عبر الله ب .. ألم تر .. فى مقام (ألم تعلم) ؟ لان العلم اذا كان بواسطة الاخبار من الله ، فيجب أن يستقبله المؤمن بالله ، استقباله لما يرى ، ولما يحدث فليس خبرا عن غيب ، فكأن مايقوله الحق فى (ألم تر) أى ألم تعلم ، وكأن الحق يقول : ننى أقول لك ، واذا قلت لك ، فانا عينك ، وكانك ترى ذلك ، ويقول الحق (ألم تر كيف فعل ربك) ومعنى الاضافة هنا ، تدل على أن المسألة متعلقة بمحمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فعل ربك . والرب ، تفيد التربية ، والكمال والبلوغ بالمربى الى مرتبة الكمال ، فما دام فعل ربك ، فيكون لمحمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ علاقة بالمحافظة على ذلك البيت .

وبعد ذلك حين عرض القضيـــة ، عرضها العرض الذى نعلمه حيث أرسل عليهم طيرا بابيل (ترميهم بحجارة من سجيل) هنا وقف بعض العلماء وقفة ، وأنا أحب هنا أن أصفى هذه الوقفة اننا قد اتهمنا بأن ديننا لايتمشى مع العقل ، اتهمنا هذه التهمة من المستشرقين ولكن المستشرقين حين يلقون هذه التهمة ، يحبون أن يدخلوا منها الى منفذ خطير يهدمون به الاسلام ، فقام قوم من الغيورين على الاسلام ، وقالوا : الاسلام فى كل قضاياه يتمشى مع العقل .. فجاءوا الى كل ما يتصل بالغيب الذى يقف فيه العقل ، وحاولوا تأويله تأويلا يرضى العقل ، حتى يدفعوا التهمة عن الدين بأنه لايتمشى مع العقل ، وعلى رأسهم علماء كبار ، ومدارس عقلانية ، لها مذاهب شتى .

وجاءوا فى هذه الحادثة التى عاصرت ميلاده ــ صلى الله عليه وسلم ــ فماذا قالوا ؟ قالوا : ان الطير الابابيل التى ترميهم بحجارة من سجيل هى الميكروبات أرسلها الله على ذلك الجيش ، لماذا ؟ ليقربوا المسألة الى أذهان الناس ، حتى لا يتهم الاسلام بأنه يأتى باشياء لا تطابق العقل ، نقول لهم : انتم مشكورون على غيرتكم فى أن تدخلوا بعض قضايا الغيب فى الاسلام الى مرتبة العقل ، ولكن الاديان لا تناقش هذه المناقشة ، لان الدين انما يناقش بالعقل فى قمته الاساسيه وهى قمة الايمان بالله ، أدخل على الايمان بالله بعقلك انت حر فى أن تؤمن أو لا تؤمن . ولكن اذا دخلت على الايمان بعقلك وفرغت من هذه القضية وصولا للايمان ، فتقبل بعد ذلك عن الله كل مايقول ، ولا تدخل عقلك فى كل جزئية مما يقول ، فقد رجعت فى قضيتك الاولى ، اذا فاحتراما لعقلك مادمت قد آمنت بالله فيجب أن يكون عمل عقلك هو فى توثيق النقل عن الله ، أقال الله ذلك ، أم لم يقله ؟ فاذا كانت المسألة كما يريد العقلانيون أن يفسروها وهو أنه ميكروب أو طير يحمل حجارة فيها ميكروب ، نقول لهم : حدث الفيل حدث عام ميلاده ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعث على رأس الاربعين ولاشك أن قوما من الذين عاصروا رسالة رسول الله كان منهم البعض فى سن الستين ومنهم من فى السبعين ، وهناك الذين سنهم ثمانون سنة ، اذا فقد كانوا فى عام الفيل فى سن العشرين وفى سن الثلاثين وفى سن الاربعين ، اذا فقد شاهدوا الحدث وهم لم يعرفوا الميكروب ، ولم يعرفوا شيئا عنه .

فلو أن القصة التى رآها هوءلاء عام الفيل ، تعارض أى جزئية من جزئيات القرآن التى قالها ، طير ، وأبابيل ، وترمى بحجارة من سجيل . وتجعلهم كعصف مأكول . لكان من الميسور على المكذبين أن يقولوا أرأيتهم أنه يقول مالم يحدث . وكان من الميسور أن يكذبوا الامر . اذا فالمسألة حدثت كما قصها القرآن وكما يفهمها العربى . من طير أبابيل ترمى بحجارة من سجيل . تجعلهم كعصف مأكول . وهب أنك جئت بالميكروب فلماذا تأتى به . ألتسهلها على الله؟ بالقطع لا : نقول له : وحتى اذا كنا نصدقك القول فى الميكروب فماذا ذلك الطير العاقل والميكروب الموجه . الذى لا يتوجه الا الى أعداء الكعبة يختار قوما دون قوم فيلقى عليهم ميكروبا . وما ذلك الميكروب الذى يفعل فعل السحر ، فى أنه بمجرد أن يلقى . يفتك بالجسم فيجعله كعصف مأكول بدلالة " الفاء " " ترميهم بحجارة من سجيل ف .. جعلهم " وهذه الفاء للترتيب والتعقيب . والميكروب اذا دخل جسما فلابد له من فترة طويلة من حصانة . ثم فترة طويلة من فتك . ثم فترة طويلة بعد ذلك يرم الجسم وينتن . واذا رم وأنتن . فبعد ذلك يتمزق . فما ذلك الميكروب السريع العادل . الذى اذا نزل جعل الجسم كأنه عصف مأكول . اذا فسواء قلت ميكروب . أو غير ميكروب . فيد السماء . وفعل الله متجل فى كل شىء . ولو كان فى الميكروب كما تقول .

ويجب أن نتنبه دائما الى أن الحق سبحانه وتعالى حين يعرض أمرا من الامور فيقول " فعل ربك " ، فهذا يعنى أنه يجب كما قلنا أن تطرح قوانينك . لان الذى فعل هو ربك . وما دام " فعل ربك " فلا تأتى بالقوانين التى فى عرفك هى الفاعلة ، اذا (فعل ربك) فهذا يعنى أنه يجب كما قلنا أن تطرح قوانينك وتلغى عقلك .

انتهت المسألة ، والغاء عقلك هذا . ثقة فيمن قال : وما دام الامر ثقة فيمن قال فلا يهم اذن . تحملها عقلى أم لم يتحملها . لان الايمان يتحمل كل شىء . ولذلك قال بعض العارفين : " العقل كالمطية . يوصلك الى باب السلطان . ولكن لايدخل معك عليه "(١) .

---

(١) معجزات الرسول لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ص ٨٠ – ٩٢ .

التسمية ب (محمد) صلى الله عليه وسلم

لم تكن العرب تسمى بمثل هذا الاسم الشريف قبل ذلك ، ولذلك لما سئل عبد المطلب ما سميت ابنك ؟ فقال : " محمــدا " .

فقيل له لم رغبت عن أسماء آبائك ؟ فأجاب :

أردت أن يحمده الله فى السماء ، وأن يحمده الخلق فى الارض .

وكان ذلك ثمرة لرؤيا رآها عبد المطلب ذكرها القير وانى فى كتابه " البستان " قال

" كان عبد المطلب قد رأى فى نومه كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره ، لها طرف فى السماء ، وطرف فى الارض ، وطرف فى الشرق ، وطرف فى الغرب ، ثم عادت كأنها شجرة على ورقة منها نور . واذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها " .

فقصها ، فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ، ويحمده أهل السماء والارض .

ولقد رأت السيدة آمنة قبل ميلاده ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه أتاها آت فأمرها أن تسميه " احمد " .

ولقد تحدث ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعد ذلك عن أسمائه فقال : " ان لى اسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى ، وأنا الماحى الذى يمحى به الكفر ، وأنا العاقب (١) " .

كما قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " أنا محمد ، وأنا أحمد ، ونبى الرحمة ، ونبى التوبة ، والحاشر ، والمقفى (٢) ، ونبى الملاحم (٣) " .

وبالجملة : فان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ سمى بأسماء كثيرة ، منها ماهو علم ، ومنها ماهو صفة من صفاته ــ صلى الله عليه وسلم ، وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى .

والاسماء التى تقدم ذكرها ليست على سبيل الحصر ، بل لكونها أشهر من غيرها حتى أوصلها بعضهم الى أربعمائة اسم .

والذى جاء به القرآن الكريم صريحا ، هو التسمية ب (محمد) و (احمد) ــ صلى الله عليه وسلم .

---

(١) رواه الامام أحمد . والعاقب : أى الذى جاء عقب الانبياء قبله .
(٢) أى التابع لغيره من الانبياء فكان آخرهم ، فان قافية كل شىء آخره .
(٣) رواه الامام أحمد .

قال الله تعالى : (محمد رسول الله) (١)

وقال تعالى : (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ٠٠) (٢) .

وقال تعالى : (واذ قال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ٠٠) (٣) .

وروى أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " اسمى فى التوراة أحيد ، لانى أحيد أمتى عن النار ، واسمى فى الزبور الماحى محا الله بى عبدة الاوثان ، واسمى فى الانجيل أحمد ، واسمى فى القرآن محمد ، لانى محمود فى أهل السماء والارض " (٤) .

---

(١) الفتح (٢٩) .
(٢) الاحزاب (٤٠) .
(٣) الصف (٦) .
(٤) القرطبى ص ٦٤ ـ ٦٥ ط الشعب .

معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم وخصائصها

معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم

تعريف المعجزة :

المعجزة : هى الامر الخارق للعادة المقترن بالتحدى ، السالم عن المعارضة ، الدال على صدق مدعى النبوة ، لتكون الزاما للمعاندين المكابرين ، وتثبيتا لقلوب أهل ملته الملبين لدعوته ، والمصدقين لنبوته ، فيزدادوا بذلك ايمانا مع ايمانهم .

فالمعجزات اذن أمور خارقة للعادة ، أى أنها غير خاضعة لناموس الكون ، ولا لقانون الوجود ، فان الكون له قانون يسير عليه ، فاذا ماجاء أمر خارج عن ذلك القانون ، فنقول ان هناك حادثة جاءت وخرقت ذلك القانون ، وما دامت خرقت القانون فنتساءل كيف يخرق القانون ؟ .

بدهى أنه لايمكن أن يخرق ذلك القانون الا خالقه وهو الحق سبحانه وتعالى .

ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان حظه من المعجزات أوفر من اخوانه السابقين من الانبياء والمرسلين ، وهى اما معجزات عقلية أو حسية ، فأكثر معجزات الانبياء السابقين كانت حسية ، مبناها على المشاهدة ، لكن معجزة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الكبرة ، التى ستبقى مدى الدهر ، يراها ويتدبرها كل حى فى هذا الوجود وهى القرآن الكريـم .

الإسلام يحتكم إلى العقل :

الانسان لا يتميز عن غيره من المخلوقات الا بالعقل ، فهو المرشد له الى مافيه خيره فى الدنيا والاخرة ، فاذا ما تجرد الانسان عن العقل كان أضل من الانعام قال تعالى : (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) (١)

ومن هنا جعل الله عز وجل معجزة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الخالدة هى القرآن الكريم ، لان القرآن يخاطب العقل ويوجهه الى هذا الكون الفسيح ليكون ذلك داعيا له الى الانقياد والاذعان لخالق هذا الكون .

قال الاستاذ أحمد حسـين :

" ولعل عظمة الاسلام لا تتجلى فى شىء قدر تجليها فى رفع سلطان العقل ، فمعجزته الكبرى وهى القرآن عقلية بحتة ، فهى ليس كغيره من الاديان يقوم على اساس التصديق بمعجزات تصدع العقل ، وتقهر النفس وتضطرها للتسليم اضطرارا ، فموسى يجب الايمان

---

(١) الاعراف (١٧٩) .

بأنه نبى لانه فلق البحر ، وحول العصا الى حية تسعى ، وحول ماء النيل الى دم وغمر مصر بالضفادع والقمل .. ألخ ، فاذا قال معترض ، وماهو الدليل على أن موسى فلق البحر وأنه حول العصا الى ثعبان ؟ الرد أن هكذا قال سادتنا الاقدمون ، فاذا قال قائل ، ولكن الاقدمين قالوا الكثير مما لايقره العقل ، ولا يوءيده الواقع فالتجربة العملية تثبت أن البحر لاينقسم بمجرد ضربة بعصا وأن العصا الخشبية لا تتحول الى حية تسعى ، لايكاد هذا الانكار يقوم حتى تسقط المعجزة التى قامت عليها العقيدة من أن موسى نبى الله ، فالاديان كلها تقوم على وجوب التسليم بأن ما ترويه كتبها من وقوع معجزات هو حق لايقبل الجدل أو الشك . أما الاسلام فهو يعلن أن لا معجزة خارقة له سوى القرآن ، والقرآن كلام عربى يفهمه كل ناطق بالعربية وهو مبسوط ومنشور ، وفى متناول يد كل انسان ، وهو يحمل فى ذاته ، ووجوده معجزته ثم قال :

فهذا كتاب تناقله البشر من فم سيدنا محمد عندما نطق به لاول مرة منذ نحو ألف وأربعمائة سنة ، ومع ذلك منها فها نحن لا نزال بكل علومنا وثقافتنا وتجارب البشرية ، ندور فى فلكه ، وتتأثر بكلماته بل بحروفه ، ونستنطق آياته ، لنخرج منها فى كل جيل وفى كل عصر معان جديدة تنير لنا الحياة ، وتهدينا سواء السبيل ، فأى اعجاز بعد هذا الاعجاز ، أن يعيش كتاب بنص واحد لا خلاف على كلماته ، بل لا خلاف جدى على عدد حروفه ، طوال أربعة عشر قرنا ، ولا يزال يوءثر فى نفوس سامعية أو قارئيه بنفس القوة التى أثر بها على من سمعه لاول مرة .

ان التجربة تثبت أن كل كتاب يفيد فاعليته بعد قدر من السنين ، بل وقد يندرس ويصبح أثرا بعد عين ، ومن هنا فان العقل البشرى ، عندما يسجل ظاهرة انفراد القرآن بالمحافظة على كيانه ، من بين سائر ماعرفت البشرية من كتب ، يجد نفسه مضطرا للاعتراف أنه أمام سر غير قابل للتعليل ، وهذا هو الاعجاز ، ثم يضاعف فى قوة هذا الاعجاز عندما يعرف الانسان أن القرآن قد وعد بذلك منذ اللحظة الاولى ، وأشهر السموات والارض على أن ذلك سيكون : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

وهكذا يكون بقاء القرآن معجزة من ناحيتين ، من ناحية ظاهرة المحافظة نفسها ، ومن ناحية تحقق ما انطوى عليه من نبوءة بها الحفظ .

القرآن يحدد نوع معجزة سيدنا محمد

ولم يدع القرآن الكريم نوعية معجزة سيدنا محمد وأنها عقلية بحتة ، لتكون محل حدس أو تخمين ، بل لقد قررها فى صراحة وأكدها وعمقها لتستقر فى نفوس الموءمنين بالقرآن والاسلام ، فكان من بين ما قال تصويرا لذلك :

(ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس الا كفورا . وقالوا لن نوءمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر

الانهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نوءمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقروءه قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا وما منع الناس أن يوءمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا قل لو كان فى الارض ملائكه يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ، قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا) (١) .

فأنت ترى فى هذه الايات أن كفار قريش قد راحوا يطالبون رسول الله بأن يقدم لهم معجزة خارقة تصدع عقولهم وتبهر ألبابهم ، فلم يكن للرسول من رد على ذلك ألا أن يوءكد لهم أنه بشر مثلهم وكل الذى يفرقه عنهم أنه يوحى اليه بالقرآن الذى يخاطب وجدانهم وعقولهم ، ويقارع حججهم ويناقش منطقهم الذى يعبدون به الاصنام ، ويطالبهم أن يردوا على أدلته ، أو يدحضوا حججه التى يسوقها ، فان لم يفعلوا ، فقد لزمهم التسليم بما يدعوهم اليه من الايمان بالله وحده ، المنزه عن الشريك والتجسيد ، وأنه رسول هذا الاله الواحد الاحد ليبشرهم وينذرهم .

مطالبة اليهود لسيدنا محمد بمعجزة

ولم يكن مشركو قريش وحدهم الذين طالبوا رسول الله بمعجزة خارقة ، بل ان يهود المدينة بدورهم ، عندما انتقل الرسول اليها ، قد طالبوه بمثل هذه المعجزة ، وقد حددوا نوع المعجزة التى يوءمنون بعدها وبدون هذه المعجزة فلن يصدقوا به أبدا : (الذين قالوا ان الله عهد الينا ألا نوءمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار ، قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين) (٢) .

فأنت ترى أن القرآن الكريم لم يجب اليهود الى طلبهم فى استنزال نار من السماء تأكل القربان من فوق المذبح ، بل انه حاججهم بقضية منطقية . اذ صح ماتدعون من أنكم لاتوءمنون الا اذا أنزلت عليكم نار من السماء تأكل القربان ، فلماذا قتلتم الرسل الذين جاءوكم من قبل بما طلبتم ، وكفرتم بهم ، ليست المسألة اذن مسألة خوارق تنزل من السماء ، وانما هى مسألة استعداد نفسى وعقلى للتصديق والايمان ، أو الكفر والالحاد .

لا أعلم الغيب

وهكذا كما طولب الرسول بالامر الخارق ، أو الخارج على مألوف البشر وسننهم ، راح القرآن الكريم يذكرهم بأن قوة سيدنا محمد ، ومعجزته الكبرى ، هى فى أنه انسان بكل مافى الانسان من ضعف وعجز عن ادراك الغيب ولكنه بفضل الوحى الذى أوحى اليه قد استطاع أن يحقق كل هذا الذى حققه : (قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ، ولا أعلم

---

(١) الاسراء (٧٩ — ٩٦) .
(٢) آل عمران (١٨٣) .

الغيب ، ولا أقول لكم انى ملك ، ان أتبع الا مايوحى الى ، قل هل يستوى الاعمى والبصير أفلا تتفكرون) (١) .

(قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ، ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون) (٢) .

واذن فرسول الله عندما يتقدم فى كل زمان ومكان لدعوة البشر للايمان برسالته ، لايقدم لهم سوى حياته وسيرته الانسانية البحتة ، وهذا القرآن الكريم الذى ينطق بنفسه وبالاثر الذى أحدثه فى البشر ، أنه لايمكن أن يكون من صنع الانسان .

الاحتكام الدائم إلى العقل

والحق أن الانسان ليروعه احتكام القرآن الدائم الى العقل البشرى لاثبات قضيته ، ولقد فصلنا هذه القضية فى كتابنا من قضايا الرأى فى الاسلام .

وبينا كيف يتدرج القرآن الكريم مع العقل الانسانى ، مرحلة بعد مرحلة ، فمن الحث على المشاهدة والتسجيل ، الى الدعوة الى المقارنة والتحليل ، حتى يصل به القضايا العقلية البحتة . فمن ذلك قوله فى المرحلة الاولى مرحلة الدعوة الى الملاحظة والتسجيل ، واستخلاص ما ينطوى عليه ذلك من نواميس ومبادئ .

قال تعالى : (والليل اذا يغشى . والنهار اذا تجلى . وما خلق الذكر والانثى) (٣)

وقال تعالى : (والشمس وضحاها . والقمر اذا تلاها) (٤) .

وقال : (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت . والى السماء كيف رفعت . والى الجبال كيف نصبت . والى الارض كيف سطحت) (٥) .

وقال تعالى : (فلا أقسم بمواقع النجوم . وانه لقسم لو تعلمون عظيم) (٦) .

وقال تعالى : (فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب) (٧) .

---

(١) الانعام (٥٠) .
(٢) الاعراف (١٨٨) .
(٣) الليل (١ – ٣) .
(٤) الشمس (١ – ٢) .
(٥) الغاشية (١٧ – ٢٠) .
(٦) الواقعة (٧٥ – ٧٦) .
(٧) الطارق (٥ – ٧) .

وعلى هذه الوتيرة ، يوجه القرآن الكريم العقل البشرى لرصد مختلف الكائنات والمخلوقات ، وما تنطوى عليه كلها . من سر واحد عظيم وهو سر وجودها وكينونتها ، وكيف أن هذا السر العظيم ، لايقل فى النملة الصغيرة عنه فى الشمس والكوكب والنجوم . فالذباب والعنكبوت ، والنحل ، والتين والزيتون ، كالنجوم والافلاك ، كالقلم وما يخطه من ثمار العقل ، كلها ظواهر جديرة بأن تحمل العقل على التطلب الى ما تنطوى عليه من سرى ، تنطق بأن هذا الكوت يقوم على نظام ويهدف الى غاية ، ولابد أن يكون وراء ذلك قرة منظمة وهادفة (١) .

الرسول والمعجزات الحسية

واذا كان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد تميز بمعجزة دائمة مدى الدهر ، فانه قد جمع الى ذلك كثيرا من المعجزات الحسية ، تسوية له باخوانه من الرسل والانبياء ، وبذلك يكون ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد جمع بين صفات من سبقه من الرسل ، وفاقهم بما فضله الله به عليهم ، ولا عجب فى ذلك فهو صفوة الله من خلقه ، وخاتم رسله الى الارض .

قال تعالى : (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ..) (٢) .

وقال جل شأنه : (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ...) (٣) .

وهذه بعض معجزاته الحسيـــة :

١- إظهار الغيب له

الاطلاع على الغيب ، والعلم بالامور قبل وقوعها من الامور الخاصة بالله سبحانه وتعالى ، فهو جل شأنه (عالم الغيب والشهادة) . وهو سبحانه (بكل شئ عليم) .
لكنه سبحانه وتعالى قد يتفضل على بعض عباده المصطفين ، فيفيض عليهم من هذا العلم الغيبى ، ليكون ذلك كالمعجزة الدالة على صدقه وأن يكون ذلك من بين الاحكام التى يكلفون بتبليغها ، ليترتب عليها الجزاء .

قال تعالى : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا . الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) (٤)

ولقد كان لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ النصيب الاوفى من هذا الفضل العظيـــم .

---

(١) نبى الانسانية للاستاذ أحمد حسين (١٤ ــ ١٨) .
(٢) الاسراء (٥٥) .
(٣) الاحزاب (٤٠) .
(٤) الجن (٢٦ ــ ٢٧) .

عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خرج يوما فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ، ثم انصرف الى المنبر فقال : "انى فرط(١) لكم ، وأنا شهيد عليكم ، وانى والله لانظر الى حوضى الان .. ، وانى قد أعطيت مفاتيح خزائن الارض ، أو مفاتيح الارض ، وانى والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدى ، ولكن أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها" (٢) .

ففى هذا الحديث نرى أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد انكشف له بعض المغيبات ، وهى :

١ـ أن أمته ستفتح عليها خزائن الارض وخيراتها .
٢ـ أنه خشى على أمته من التنافس فى الدنيا ، والتضارب عليها .
٣ـ أنه رأى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حوضه المعدله فى الجنة .

وعن أسامة رضى الله عنه قال : أشرف النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على اطم (٣) من الاطام ، فقال : " هل ترون ما أرى ؟ أنى أرى الفتن تقع خلال بيوتكم مواقع القطر" (٤)

فان هذا الحديث يدل على انكشاف بعض المغيبات للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهى وقوع الفتن بين المسلمين ، وقد وقع ذلك ، وكان أوله فتنة قتل عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه .

٢ ـ سرعة إجابة دعائه عليه الصلاة والسلام

فعن أنس رضى الله عنه قال : أصاب المدينة قحط على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فبينما هو يخطب يوم الجمعة ، فقام رجل فقال : يارســـول الله ، هلكت الكراع (٥) هلكت الشتاء !! فادع الله يسقينا ، فمد النبى عليه السلام يده ، فدعا ، قال أنس رضى الله عنه : وان السماء كمثل الزجاجة ، فهاجت ريح أنشأت سحابا ثم اجتمع ، ثم أرسلت السماء عز اليها (٦) فخرجنا نخوض الماء ، حتى أتينا منازلنا فلم تزل تمطر : الى

---

(١) أى سابقكم الى الاخره .
(٢) رواه البخارى ومسلم (التاج ٣٠٦/٣) .
(٣) الاطم ـ بضمتين : كل بيت مربع مسطح .
(٤) رواه الشيخان (التاج ٣٠٧/٢) .
(٥) الكراع ، بالضم : الخيل .
(٦) عز اليها . جمع عزلاء ، وهى فم القربة الاسفل . والمراد . نزل الماء كأفواه القرب .

الجمعة الاخرى ، فقام اليه ذلك الرجل أو غيره ، فقال : يارسول الله ، تهدمت البيوت ، فادع الله يحبسه ، فتبسم النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، ثم قال : "حوالينا ولا علينا" . فنظرت الى السماء تصدع (١) حول المدينة كأنه اكليل (٢) .

٣ - تسبيح الطعام بين يديه عليه السلام

عن عبد الله رضى الله عنه قال . كنا نعد الايات بركة ، وأنتم تعدونها تخويفا . كنا مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى سفر فقال . "أطلبوا فضلة(٣) من ماء" فجاءوا بأناء فيه ماء قليل ، فأدخل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يده فى الاناء ، ثم قال "حى(٤) على الطهور المبارك ، والبركة من الله ، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابعه الشريفة . ولقد نسمع تسبيح الطعام وهو يأكل (٥) " .

٤ - تكثير الماء ببركته عليه السلام

عن البراء رضى الله عنه قال : " كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة ، فجلس النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ على شفير(٦) البئر فدعا بماء ، فمضمض ثم مجه فى البئر ، فمكثنا غير بعيد ثم استقينا حتى روينا وروت . أو صدرت . ركائبنا .

٥ - نبع الماء من بين أصابعه الشريفة

عن جابر رضى الله عنه قال : "عطش الناس يوم الحديبية ــ والنبى عليه السلام بين يدية ركوة (٧) . فتوضأ فجهش (٨) الناس نحوه فقال " مالكم ؟ قالوا . ليس عندنا ماء نتوضأ أو نشرب الا مابين يديك . فوضع الرسول يده فى الركوة ، فجعل الماء يفور بين أصابعه كأمثال العيون ، فشربنا وتوضأنا !! قيل كم كنتم ؟ قال لو كنا مائة ألف ، لكفانا كنا خمس عشرة مائة" (٩) .

٦ - تكثير الطعام ببركته عليه السلام

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : " عملنا مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم فى الخندق وكانت عندى شويهة(١٠) غير سمينة ، فقلت ، لو وضعناها لرسول

---

(١) تصدع بتشديد الدال ، والمراد . تفرقة السحاب .
(٢) المراد أنه صار حول المدينة كأنه عصابة تزينها ــ رواه الخمسة الا الترمذى (التاج ٣٠٢/٣) .
(٣) فضله ــ بقية (٤) حى على الطهور . اقبلوا عليه .
(٥) رواه البخارى ــ التاج (٢٩٩/٣) (٦) شفير ــ حافة .
(٧) الركوة ــ اناء صغير من جلد يشرب فيه .
(٨) فجهش الناس . أى أسرعوا متهيئين لاخذه .
(٩) رواه الشيخان ــ (التاج ٢٩٣/٣) .
(١٠) تصغير شاة .

الله ـ صلى الله عليه وسلم ؟ فأمرت امرأتى فطحنت لنا شيئا من شعير وصنعت لنا منه خبزا ، وذبحت لنا تلك الشاة ، فشويناه لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما أمسينا رجعنا الى أهلنا ـ قال . قلت يارسول الله : انى قد صنعت شويهة كانت عندنا ، وصنعنا معا شيئا من خبز الشعير ، فأحب أن ينصرف الرسول معى الى منزلى ، وانما أريد أن ينصرف معى الرسول وحده ، فلما قلت له ذلك قال . نعم .. ثم أمر صارخا فصرخ أن انصرفوا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى بيت جابر ، قال ـ فقلت . انا لله وانا اليه راجعون فأقبل الرسول ، وأقبل الناس معه ، فجلس فأخر جناها اليه فبارك وسمى ثم أكل وتواردها الناس كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس حتى صدر أهل الخندق عنها " (١) .

٧ - حنين الجذع الى النبي صلى الله عليه وسلم

قال جابر بن عبد الله الانصارى رضى الله عنه ـ "كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل ، فكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا خطب يوم الى جذع منها ، فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا لكوت العشار" (٢) .

وفى رواية أنس " حتى ارتج المسجد بخواره !! " .

وفى رواية سهل " وكثر بكاء الناس لما رأوا مابه حتى جاء النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فوضع يده عليه حتى سكت " زاد غير جابر . فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم " ان هذا بكى لما فقد من الذكر " وزاد غيره ـ والذى نفسى بيده لو لم ألتزمه لم يزل هكذا الى يوم القيامه" تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى حديث بريدة . فقال النبى عليه السلام للجذع . "ان شئت أردك للحائط (٣) الذى كنت فيه ، تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمر ، وان شئت أغرسك فى الجنة ، فيأكل أولياء الله من ثمرك" ، ثم أصغى له النبى ، يستمع مايقول ، فقال ـ " بلى تغرسنى فى الجنة فيأكل منى أولياء الله وأكون فى مكان لا أبلى فيه" فسمعه من يليه ، ثم قال النبى عليه السلام ـ " قد فعلت " وقال " أختار دار البقاء على دار الفناء " (٤) .

روى بطرق مختلفة عن الترمذى وقال حسن صحيح . ورواه الامام أحمد . ورواه البخارى ومسلم ، وقال الزرقانى فى المواهب (١٣٣/٥) انه حديث متواتر يفيد القطع .

٨ - انقياد الشجر له عليه السلام

عن جابر ، رضى الله عنه قال " سرنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، حتى نزلنا واديا أفيح (٥) فذهب رسول الله يقضى حاجته فاتبعته باداوة (٦) من ماء ، فنظر

---

(١) أخرجه الشيخان ـ الوفا (٢٧٤/١) .
(٢) العشار ، بكسر العين . جمع عشراء كفقهاء ، وهى الناقة التى أتى عليها من وقت الحمل عشرة أشهر .
(٣) الحائط ـ البستان .
(٤) الشفاء ـ (٢٥٨/١) .
(٥) أفيح ـ واسع .
(٦) أداوة ، بالكسر ـ المطهرة .

الرسول عليه السلام ، فلم ير شيئا يستتر به ، فاذا شجرتان بشاطىء الوادى فانطلق الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى أحدهما ، فأخذ بغصن من أغصانها فقال ــ "انقادى على باذن الله ، فانقادت معه كالبعير المحشوش (١) الذى يصانع قائده، حتى أتى الشجرة الاخرى ، فأخذ بغصن من أغصانها ، فقال ــ "انقادى على باذن الله " فانقادت معه كذلك حتى اذا كان بالمنتصف مما بينهما لام (٢) بينهما ، فقال ــ "التئما باذن الله ، فالتأمتا ، قال جابر ــ فخرجت أحضر (٣) مخافة أن يحس رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بقربى فيبتعد ، فجلست أحدث نفسى ، فحانت منى لفتة . فاذا أنا برسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ مقبلا ، واذا الشجرتان قد افترقتا ، فقامت كل واحدة منهما على ساق !! فرأيت الرسول عليه السلام وقف وقفة فقال برأسه هكذا (٤) .. ثم أقبل . فلما انتهى الى ، قال . "ياجابر هل رأيت مقامى؟ " قلت : نعم يارسول الله" (٥) .

---

(١) البعير المحشوش . أى الذى القيت اليه الحشائش ليأتى .
(٢) لام ــ أوصل . (٣) أحضر بضم أوله ، أعدو .
(٤) رواه مسلم ــ (التاج ٣٠١/٤) .
(٥) فقال برأسه أى أشار برأسه الى كل من الشجرتين .

من خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم

لقد اختص الله عز وجل سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام بأمور أخرى لم ينلها أحد غيره من الرسل والانبياء ، زيادة فى التكريم له ولامته معه.

قال الله تعالى : (واذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلك اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) (١).

عن على بن أبى طالب ، وابن عمه عبد الله بن عباس رضى الله عنهما "مابعث الله نبيا من الانبياء الا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمدا وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته : لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه" (٢)

قال الحافظ ابن كثير :

" فالرسول محمد خاتم الانبياء ، صلوات الله وسلامه عليه دائما الى يوم الدين ، وهو الامام الاعظم الذى لو وجد فى أى عصر وجد لكان هو الواجب الطاعة ، المقدم على الانبياء كلهم ، ولهذا كان امامهم ليلة الاسراء ، لما اجتمعوا فى بيت المقدس ، وكذلك هو الشفيع فى يوم الحشر فى اتيان الرب لفصل القضاء ، وهو المقام المحمود الذى لا يليق الا له ، والذى يحيد عنه أولوا العزم من الانبياء والمرسلين حتى تنتهى النوبة اليه فيكون هو المخصوص به" (٣).

والمتتبع لايات القرآن الكريم يجد فيها أروع أنواع التكريم فى مخاطبة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . فهو سبحانه وتعالى حين يخاطب جميع الرسل والانبياء يخاطبهم بأسمائهم مباشرة فيقول عزل وجل . (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) (٤)

ويقول سبحانه . (يانوح اهبط بسلام منا) (٥)

ويقول : (ياموسى انى أنا ربك) (٦)

ويقول سبحانه . (ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله) (٧).

---

(١) آل عمران — ٨١ .
(٢) تفسير الطبرى (٦ — ٥٥٥) .
(٣) تفسير القرآن العظيم (٢ — ٥٦ — ٥٧) ط الشعب .
(٤) البقرة — ٣٥ .
(٥) هود — ٤٨ .
(٦) طه — ١٢ .
(٧) المائدة ١١٦ .

لكنه سبحانه وتعالى حينما يتوجه بالخطاب الى حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم لم يخاطبه بأسمه المجرد وانما يناديه بقوله (يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) (١) (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) (٢) .

كذلك نجد الحق سبحانه وتعالى يقسم بأشياء كثيرة ليؤكد المعنى فى نفوس المخاطبين ، فيقسم سبحانه بالجماد وبالحيوان ، والنبات ، وبالملائكة بينما لم نجده سبحانه وتعالى لا يقسم بأحد من البشر الا بالرسول صلى الله عليه وسلم حيث يقول جل شأنه (لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون) (٣) .

قال عمر بن مالك النكرى ، عن أبى الجوزاء ، عن ابن عباس أنه قال : "ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله أقسم بحياة واحد غيره "

ولو أردنا أن نستقصى ما اختص الله به نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لما كفت هذه القبسات السريعة ، ولكننا نكتفى بما نص عليه الحديث الصحيح الذى رواه جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أعطيت خمسا لم يعطهم أحد قبلى ، نصرت بالرغب مسيرة شهر ، وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى ، وكان النبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس كافة ، وأعطيت الشفاعة "(٥) .

وليس هذا الحديث على سبيل الحصر ، كما سترى ذلك فى التفصيل .

١ - نصره بالرعب مسيرة شهر

والمراد به أن اعداءه كانوا يرهبونه صلى الله عليه وسلم ، ويخافونه من بعد ، ولو كان بينهم وبينه مسيرة شهر بسير الابل ، وتظهر الحكمة النبوية فى تحديد الشهر اذا علم أن الدولتين العظيمتين اللتين كانتا يخشى بأسهما وهما دولة الفرس بالعراق ، ودولة الروم بالشام ، لم تكن المسافة بينه صلى الله عليه وسلم وبين أى دولة منهما أكثر مما ذكر ، وقد كانتا تعلمان خطورته صلى الله عليه وسلم بعد أن دعاهما للاسلام ، وبعد أن انتصر على جميع الجزيرة العربية ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، وهذه الخاصية كانت له صلى الله عليه وسلم حتى ولو كان وحده بدون عسكر ، حتى قيل : ان هذه الخاصية حاصلة لامته من بعده صلى الله عليه وسلم (٦) .

---

(١) الاحزاب - ٤٥ .
(٢) المائدة - ٦٧ .
(٣) الحجر - ٧٢ .
(٤) تفسير الطبرى (٣٠/١٤) .
(٥) متفق عليه .
(٦) فتح البارى (٢٩٩/١) بتصرف .

٢ ـ جعلت له الأرض مسجدا وطهورا

من الامور التى اختص الله بها نبيه محمدا صلىالله عليه وسلم أنه أباح له الصلاة فى أى مكان من الارض ، وأن يتطهر بترابها عند فقد الماء وفى ذلك يقولالله عز وجل : (فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا) (١).

وهذا بخلاف الامم السابقة حيث كانوا لايصلون الا فى الاماكن المخصصة للعبادة : كالكنائس والبيع ، ولايتطهرون الا بالماء . ويؤيد ذلك ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما .. " ولم يكن أحد من الانبياء يصلى حتى يبلغ محرابة. (٢)

٣ ـ حل الغنائم

الغنائم هى مايؤخذ من اكفار عقب الجهاد والانتصار عليهم ، وكانت محرمة على الانبياء السابقين ، وعلى المجاهدين من أممهم ، فلما بعث الله خاتم الانبياء محمدا صلى الله عليه وسلم أحلها له ، وأنزل فى ذلك آيات تبين كيفية تقسيمها على المجاهدين . قال تعالى : (ما كان لنبى أن يكونله أسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من اله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم " (٣).

وقالالله تعالى : (واعملوا أنما غنمتم من شىءفأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجعان والله على كل شىء قدير) (٤).

كما نزلت آيات أخرى تبين مصرف ذلك فى سورة الحشر وهى من أول قوله تعالى (وما أفاءالله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء .. الى آخر الايات الثلاث) (٥).

جاء فى صحيح البخارى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " غزا نبى من الانبياء فقال لقومه : لايتبعنى رجل ملك بضع أمرأة(٦) ، وهو يريد أن يبنى بها (٧) ولما يبن بها ، ولا أحد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها ، ولا أحد اشترى غنما أو خلفات (بفتح الخاء وكسر اللام) وهو ينتظر ولادتها ، فغزا ، فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس : انك مأمورة ، وأنا مأمور ــ اللهم احبسها علينا . فحبست !! حتى فتح عليه

---

(١) النساء ٤٣ والمائدة ٦ .
(٢) فتح البارى (٢٩٩/١) .
(٣) الانفال (٦٧ ــ ٦٩) .
(٤) الانفال (٤١) .
(٥) الحشر (٦ ــ ٨) .
(٦) عقد عليها .
(٧) يدخل بها .

فليبايعنى من كل قبيلة رجل ، فلزقت يد رجل بيده !! فقال فيكم الغلول ، فلتبايعنى قبيلتك ؟ فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده ، فقال فيكم الغلول !! فجاءوا برأس مثل رأس البقرة من الذهب فوضعوها ، فجاءت النار فأكلتها .. ثم أحل الله لنا الغنائم ، رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا" (١) .

٤ - بعث إلى الناس كافة

وهذه خاصية أخرى ، وهى من الخصائص التى فضل بها رسول الله على سائر الانبياء وذلك لشمول دعوته الاسود والاحمر ، والعربى والعجمى ، والانس والجن . قال الله تعالى : (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (٢) .

وقال تعالى : (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) (٣) .

وقال تعالى : (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولو الى قومهم منذرين) (٤) .

وفى هذه الاية دليل على أنه صلى الله عليه وسلم أرسل الى الجن (٥) .

٥ - أعطى جوامع الكلم

قال عليه الصلاة والسلام : "أعطيت جوامع الكلم ، واختصر لى الكلام اختصارا" ومعنى ذلك . أنه صلى الله عليه وسلم . أنعم الله عليه بأن ينطق بقليل الكلام الذى يحمل الكثير من المعانى .

وهذه الخصوصية . تتمثل فى كل أحاديثه وكلماته . لذلك ترى شراح الحديث يستخلصون من العبارة الواحدة أحكاما وحكما وعبرا كثيرة ، وما ذكروا الا القليل من مكنون الحكم وجواهر الكلم واليك أمثلة موجزة من أقواله صلى الله عليه وسلم .

"انما الاعمال بالنيات" ، " اليد العليا خير من اليد السفلى" ، "ان الله يحب الرفق فى الامر كله" ، ولا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه".

---

(١) الكرمانى على البخارى (١٣/٩٥) .
(٢) سبأ (٢٨) .
(٣) الفرقان (١) .
(٤) الاحقاف (٢٩) .
(٥) القرطبى ص ٦٣٦ ط الشعب .

٦ - ختمت به النبوة والرسالة

لما كانت الرسالات قبل الاسلام خاصة لفئة معينة من الناس ، وكان الاسلام عاما للبشر كلهم على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ، فان محمدا صلى الله عليه وسلم قد اصطفاه ربه ليكون خاتما ، للمرسلين كلهم ، والنبيين .

قال تعالى . (ما كان محمدا بأحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شيء عليما) (١) .

ويقول الامام ابن كثير : " هذه الاية نص فى أنه لا نبى بعده . واذا كان لا نبى بعده ، فلا رسول بالطريق الاولى والاخرى . لان مقام الرسالة أخص من مقام النبوة . فان كل رسول نبى ولا ينعكس" (٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مثلى ومثل الانبياء قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه ، وأكمله ، الا موضع لبنة ـ بفتح اللام وكسر الباء الموحدة : قطعة طين تعجن وتعد للبناء من غير احراق ـ من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين " (٣) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ان الرسالة والنبوة قد انقطعت ، فلا رسول بعدى ولا نبى" (٤) .

٧ - وهو أفضل المرسلين عند الله :

واذا كان رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، ورحمة للعالمين ، وبعثه الله بشرع كامل عظيم ، فقد فضله ربنا على جميع المرسلين ، وكل النبيين .

ومبدأ تفضيل بعض الرسل على بعض مقرر فى كتاب الله تعالى :

قال تعالى : (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ... الاية) (٥) .

---

(١) الاحزاب ٤٠ . (٢) ابن كثير (٣/٤٩٣) .
(٣) رواه البخارى ومسلم . الفتح الربانى (٥/٢٦٧ ـ ٢٦٨) .
(٤) رواه أحمد والترمذى والحاكم باسناد صحيح ـ الزرقانى على المو هب (٥ ـ ٢٦٦)
(٥) البقـــرة ٢٥٣ .

وقال تعالى : (وربك أعلم بمن فى السموات والارض .. ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض .. الاية) (١) .

وقال تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتوءمنون بالله .. الاية) (٢) .

يقول ابن كثير : (وانما حازت هذه الامة قصب السبق الى الخيرات بنبيها محمد صلوات الله وسلامه عليه . فانه أشرف خلق الله ، وأكرم الرسل على الله ، وبعثه الله بشرع كامل عظيم لم يمطه نبى قبله ولا رسول من الرسل) (٣) .

وعن أبى سعيد سعد بن مالك الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدى لواء الحمد ولا فخر . وما من نبى : آدم فمن سواه الا تحت لوائى ، وأنا أول من تنشق عنه الارض ولا فخر . وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر) (٤) .

٨ - خاتم النبوة

كان للنبى صلى الله عليه وسلم بضعة ناشزة كبيضة الحمامة بين كتفيه ، وهذه هى التى يطلق عليها خاتم النبوة .

عن السائب بن يزيد قال : " قمت خلف ظهر النبى صلى الله عليه وسلم فنظرت الى خاتمه — بفتح التاء — بين كتفيه مثل زر الحجلة — بفتح الحاء والجيم — " (٥) .

ومعنى زر الحجلة : مايجعل فى عروة الخيمة من خشب بيضاوى لتشد به . والزر فى الملابس معروف . والحجلة : خيمة لها ازرار كبار وعرى . وتطلق الحجلة ايضا على اسم طائر كالحمامة وزرها بيضها (٦).

وعن عبد الله بن سرجس — بفتح السين والجيم وسكون الراء — قال : " نظرت الى خاتم النبوة بين كتفيه ، عند ناغض كتفه (٧) اليسرى جمعا — بضم الجيم وسكون

---

(١) الاسراء ٥٥
(٢) آل عمران ١١٠
(٣) ابن كثير ١ — ٣٩١
(٤) الزرقانى (٨ — ٣٥٢) .
(٥) رواه الشيخان (اللوءلوء والمرجان "١٤١/٣")
(٦) القادس — شرح مسلم — اللوءلوء والمرجان
(٧) أعلى كتفيه

الميم – (كقبضة الكف) عليه خيلان (جمال خال : وهو الحسنة) كأمثال التآليل " (واحدها تؤلول ، وهو حلمة الثدى) (١).

والمقصود أن خاتم النبوة فى أعلى كتفه صلى الله عليه وسلم أسفل العنق من الناحية اليسرى ، وهو يشبه قبضة اليد الصغيرة التى يعلوها كثير من الخيلان التى تشبه حلمات الاثداء (٢).

وفى قصة سلمان الفارسى رضى الله عنه ، ذكر أن من علامات النبوة ، أنه يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة وأن خاتم النبوة على كتفه .

أخرج البيهقى عن سلمان الفارسى فى هذه القصة قال : " أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فألقى الى رداءه وقال : " انظر الى ما أمرت به " فرأيت الخاتم بين كتفيه مثل بيضة الحمامة " (٣).

ولقد استفاضت الاخبار فى ذكر خاتم النبوة حتى كادت أن تبلغ حد التواتر .

٩ - يرى من خلفه كما يرى من أمامه

أخرج الشيخان عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " هل ترون قبلتى هاهنا ، فوالله مايخفى على خشوعكم ولا ركوعكم ، انى لاراكم من وراء ظهرى" (٤) متفق عليه .

والرؤية هنا حقيقة ، فمعنى الحديث انى لاراكم رؤية حقيقة أختص بها عنكم والرؤية عند أهل السنة لا تشترط لها المواجهة ولا المقابلة ولا القرب وانما تلك أمور عادية يجوز حصول الادراك مع عدمها عقلا ، ولذلك قال الجمهور : ان رؤيته صلى الله عليه وسلم من خلف ظهره من خصائصه ، وأن ابصار ادراك حقيقى انخرقت له فيه العادة (٥).

وعن انس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "أقيموا الركوع والسجود ، فوالله انى لاراكم من بعدى – بفتح الباء – وربما قال : من بعد ظهرى اذا ركعتم وسجدتم (٦).

---

(١) مسلم (٨٦/٧)
(٢) القاموس وشرح مسلم (٩٨/١٥ ، ٩٩)
(٣) الخصائص الكبرى (١٤٨/١)
(٤) زاد المسلم (٤٧٧/٣)
(٥) زاد المسلم (٤٧٨/٣)
(٦) اللؤلؤ والمرجان (٩٨/١)

وأخرج الحميدى فى مسنده وابن المنذر فى تفسيره ، والبيهقى عن مجاهد فى قوله تعالى : "الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين "قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى من خلفه من الصفوف كما يرى من ـ بفتح الميم ـ بين يديه " .

وقيل ان الروءية خاصة بحال الصلاة لان الاحاديث واردة فى ذلك (١) .

١٠ - تنام عيناه ولا ينام قلبه

عن عائشة أم الموءمنين رضى الله عنها قالت : يارسول الله ، أتنام قبل أن توتر ؟ فقال : "ياعائشة ان عينىتناما ولا ينام قلبى " (٢) متفق عليه .

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه قال : حضرت عصابة من اليهود يوما عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم : " أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أن هذا النبى تنام عيناه ولا ينام قلبه ؟ " قالوا : اللهم نعم . قال : "اللهم أشهد" رواه أبو نعيم .

وهذه الخصوصية بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم واخوانه من الانبياء والمرسلين الذين تقدموه ، فهو ينفرد بها عن سائر البشر كما أنه يشترك فيها مع بقية المصطفين الاخيار من المرسلين والانبياء (٣) .

أخرج الشيخان عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الانبياء تنام عيونهم ولا تنام قلوبهم " (٤) .

١١ - شق صدره صلى الله عليه وسلم قبل البعثة

عن انس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله فى طست " بفتح الطاء وسكون السين " من ذهب بماء زمزم ، ثم لامه (٥) ، ثم أعاده فى مكانه ، وجاء الغلمان يسعون الى أمه يعنى ظئره "مرضعته" فقالوا : ان محمدا قد قتل فأستقبلوه وهو منتقع اللون " بضم الميم وفتح التاء والقاف . أى متغير اللون " قال أنس : وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط فى صدره " .

---

(١) الخصائص الكبرى (الهامش ١/١٥٢)
(٢) اللوءلوء والمرجان (١/١٥٨)
(٣) الخصائص (١/١٧٣)
(٤) المصدر السابق
(٥) اى ضم بعضه الى بعض

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : قلت : يارسول الله ، كيف علمت أنك نبى ؟ وبم علمت حتىاستيقنت ؟ قال : " أتانى آتيان ببطحاء مكة ، فوقع أحدهما بالارض وكان الاخر بين السماء والارض ، فقال لصاحبه : أهو هو ؟ قال : نعم ، هو هو : فزنه برجل فوزننى فرجحته . قال : زنه بعشرة ، فوزننى فرجحتهم . قال ، زنه بمائة ، فوزننى فرجحتهم . قال : زنه بألف ، فوزننى فرجحتهم ، ثم جعلوا يتساقطوا على من كفة الميزان ، ثم قال أحدهما لصاحبه : شق بطنه ، فشق بطنى فأخرج منه فغمز الشيطان (أى مكان وساوسه) وعلق (قطع) الدم فطرحهما ، فقال أحدهما لصاحبه : أغسل بطنه غسل الاناء واغسل قلبه غسل الملاء (بضم الميم : أى الازرار) ثم قال أحدهما لصاحبه : خط بطنه فخاط بطنى وجعل الخاتم بين كتفى كما هو الان . ووليا عنى ، وكأنى أرى الامر معاينة (أى امام عينى) (١) أخرجه الدارمى والبزار وأبو نعيم وابن عساكر .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال نبى الله صلى الله عليه وسلم : " بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان اذ سمعت قائلا يقول : أحد الثلاثة بين الرجلين " بين عمه حمزه وابن عمه جعفر " فأتيت فأنطلق بى ، فأتيت بطست من ذهب فيها من ماء زمزم ، فشرح صدرى الى كذا وكذا .

قال قتادة : فقلت للذى معى مايعنى ؟ قال : الى أسفل بطنه ، فاستخرج قلبى فغسل بماء زمزم ثم أعيد مكانه ثم حشى ايمانا ثم أتيت بدابة أبيض يقال له البراق .. الخ حديث المعراج (٢) .

١٢ ـ العصمة من الذنوب

قال تعالى : " انا فتحنا لك فتحا مبينا . ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما . وينصرك الله نصرا عزيزا " (٣)

قال السبكى فى تفسيره : أجمعت الامة على عصمة الانبياء فيما يتعلق بالتبليغ وفى غير ذلك من الكبائر ومن الصغائر الرذيلة التى تحط مرتبتهم ومن المداومة على الصغائر هذه الاربعة مجمع عليها .

واختلف فى الصغائر التى لا تحط من مرتبتهم ، فذهب المعتزلة وكثير من غيرهم الى جوازها ، والمختار المنع لانا مأمورون بالاقتداء بهم فى كل مايصدر منهم من قول أو فعل ، فكيف يقع منهم مالا ينبغى ويوءمر بالاقتداء فيه ؟ قال : والذى جوز ذلك لم يجوزه

---

(١) الخصائص الكبرى (١٦١/١)
(٢) صحيح مسلم (١٠٣/١ ـ ١٠٤)
(٣) سورة الفتح (١ ـ ٣)

بنص ولا دليل . انما أخذ ذلك من هذه الاية (أول سورة الفتح) قال : ولقد تأملتها مع ماقبلها وما بعدها فوجدتها لا تحتمل الا وجها واحدا وهو تشريف النبى صلى الله عليه وسلم من غير أن يكون هناك ذنب ولكنه أريد أن يستوعب فى الاية جميع أنواع النعم من الله على عباده الاخروية. وجميع النعم الاخروية شيئان : سلبية وهى غفران الذنوب ، وثبوتية وهى لا تتناهى أشار اليها بقوله تعالى : " ويتم نعمته عليك " .

وجميع النعم الدنيوية شيئان : دينية أشار اليها بقوله تعالى : (ويهديك صراطا مستقيما) ودنيوية وهى قوله تعالى : (وينصرك الله نصرا عزيزا) فانتظم بذلك تعظيم قدر النبى صلى الله عليه وسلم باتمام أنواع نعم الله اليه المتفرقة فى غيره . ولهذا جعل ذلك غاية الفتح المبين الذى عظمه وفخمه باسناده اليه بلون العظمة وجعله خاصا بالنبى صلى الله عليه وسلم بقوله : " لك " .
قال : وقد سبق الى نحو هذا ابن عطيه فقال : وانما المعنى التشريف بهذا الحكم ولم تكن ذنوب البتة .
قال : ثم وعلى تقدير الجواز لاشك ولا ارتياب انه لم يقع منه صلى الله عليه وسلم وكيف يتخيل خلاف ذلك (وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى) فاما الفعل فاجماع الصحابة على اتباعه والتأسى به فى كل مايفعله من قليل أو كثير وصغير أو كبير لم يكن عندهم فى ذلك توقف ولا بحث حتى أعماله فى السر والخلوة يحرصون على العلم بها على اتباعها ، ومن تأمل أحوال الصحابة معه صلى الله عليه وسلم استحيا من الله أن يخطر بباله خلاف ذلك . أ . هـ.

واخرج الحاكم وصححه عن طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قلت يارسول الله : أتأذن لى فأكتب ما أسمع منك ؟ قال : نعم . قلت : فى الرضا والغضب ؟ قال : نعم .فانه لاينبغى أن أقول عند الرضا والغضب الا حقا .

وأخرج ابن عساكر عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا أقول الا حقا " فقال له بعض أصحابه : فانك تداعبنا ، فقال : " لا أقول الا حقا " (1)

وقال ابن حزم : ذهبت جميع أهل الاسلام من أهل السنة والمعتزلة والبخارية " فرقة من الفرق " والخوارج والشيعة الى أنه لا يجوز ألبته أن يقع من نبى أصلا معصية بعمد لا صغيرة ولا كبيرة ... وهذا قول الذى تدين الله تعالى به ، ولايحل لاحد أن يدين بسواه . ونقول أنه يقع من الانبياء السهو عن غير قصد ويقع منهم قصد الشئ يريدون به وجه الله تعالى والتقرب به منه فيوافق خلاف مراد الله تعالى الا أنه تعالى لا يقرهم على شئ من هذين الوجهين أصلا بل ينبههم على ذلك ولابد أثر وقوعه منهم ويظهر عز وجل

---

(1) الخصائص الكبرى (٣٣٥/٣ ومابعدها)

ذلك لعباده ويبين لهم كما فعل نبيه صلى الله عليه وسلم فى سلامه من اثنتين وقيامه من اثنتين • وربما عاتبهم على ذلك بالكلام كما فعل نبيه عليه السلام فى أمر زينب أم المؤمنين وطلاق زيد لها رضى الله عنهما وفى قصة ابن أم مكتوم رضى الله عنه •

والانبياء عليهم السلام بخلافنا فى هذا فاننا غير مؤاخذين بماسهونا فيه ، ولا بما قصدنا به وجه الله عز وجل ، فلم يصادف مراده تعالى • بل نحن مأجورون على هذا الوجه أجرا واحدا • وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان الله تعالى قرن بكل أحد شيطانا وأن الله تعالى أعانه على شيطانه فأسلم فلا يأمر ، الا بخير (١) •

والخبر الذى ذكره ابن حزم متفق عليه من حديث ابن مسعود ولفظه : "ومامنكم من أحد الا وله شيطان " قالوا : وانت يارسول الله ؟ قال : " وأنا ، الا أن الله أعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى الا بخير " (٢) •

ومن البرهان على أنه لم يكن لنبى أن يعصى ربه ، قوله صلى الله عليه وسلم : " ماكان لنبى أن تكون له خائنة الاعين " لما قال له الانصارى : هلا أو مأت الى ــ فى قصة عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، فنفى عليه السلام عن جميع الانبياء عليهم السلام أن تكون لهم خائنة الاعين وهى أخف مايكون من الذنوب ومن خلاف الظاهر للباطن ، فدخل فى هذا جميع المعاصى صغيرها وكبيرها سرها وجهرها (٣) •

وقصة ابن أبى سرح يرويها ابن كثير فى البداية والنهاية : قال ابن اسحاق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى امرائه الا يقاتلوا الا من قاتلهم ، غير أنه أهدر دم نفر سماهم وان وجدوا تحت أستار الكعبة وهم : عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، كان قد أسلم وكتب الوحى ثم ارتد ، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكه وقد أهدر دمه فر الى عثمان وكان أخاه من الرضاعة ، فلما جاء به ليستأمن له صمت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا ثم قال : نعم • فلما انصرف مع عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله : أما كان فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حين رآنى قد صممت فيقتله ؟

فقالوا يارسول الله : هلا أومأت الينا ؟ فقال : ان النبى لايقتل بالاشارة • وفى رواية انه لاينبغى لنبى أن تكون له خائنة الاعين •• الى آخر القصة •

---

(١) الفصل فى الملل والنحل (٢٩/٤)
(٢) احياء علوم الدين : (٢٦/٣ تخريج العراقى)
(٣) الفصل فى الملل والنحل (٥٢/٤)

قال ابن هشام : وقد حسن اسلامه بعد ذلك وولاه عمر بعض أعماله ، ثم ولاه عثمـان .

قلت " ابن كثير " : ومات وهو ساجد فى صلاة الصبح أو بعد انقضاء صلاتها فى بيته (١).

١٣ - العصمة قبل النبوة

وقد تعارضت الاخبار والاثار عن الانبياء بتنزيههم عن النقائص منذ ولدوا ، ونشأتهم على التوحيد والايمان ، بل على أنواع المعارف ونفحات الطاف السعادة .

ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك .

وجاء فى حديثه صلى الله عليه وسلم : " لما نشأت بغضت الى الاوثان وبغض الى الشعر ، ولم أهم بشىء مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمنى الله منهما ثم لم أعد "

ولم ينقل أحد من أهل الاخبار أن أحدا نبىء واصطفى ممن عرف بكفر وإشراك قبل ذلك (٢)

ويروى الحافظ البيهقى قصة المرتين اللتين همّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصمه الله فيهما . قال بسنده : عن على بن أبى طالب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ماهممت بشىء مما كان أهل الجاهليه يهمون به من اللهو أو من السمر الا ليلتين كلتاهما عصمنى الله عز وجل فيهما " .

قلت : ليلة لبعض فتيان مكة ــ ونحن فى رعاء غنم أهلها ــ فقلت لصاحبى : أبصر لى غنمى حتى أدخل مكة أسمر فيها كما يسمر الفتيان فقال : بلى ــ قال : فدخلت حتى جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفا بالغرابيل والمزامير ، فقلت : ماهذا ؟ قالوا : تزوج فلان فلانة : فجلست انظر وضرب الله على أذنى فوالله ما أيقظنى الا مس الشمس ، فرجعت الى صاحبى ، فقال : مافعلت ؟ فقلت : مافعلت شيئا . ثم اخبرته بالذى رأيت . ثم قلت له ليلة أخرى : أبصر لى غنمى حتى أسمر ففعل ، فدخلت فلما جئت مكة سمعت مثل الذى سمعت تلك الليلة ، فسألت ، فقيل : نكـح فلان فلانة فجلست أنظر ، وضرب الله على أذنى فوالله ما أيقظنى الا مس الشمس فرجعت الى صاحبى فقال : مافعلت ؟ فقلت : لاشىء ، ثم أخبرته الخبر فوالله ما هممت ولا عدت بعدهما لشىء من ذلك حتى أكرمنى الله عز وجل بنبوته (٣).

١٤ــ العصمة مـــــن الناس :

قال تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك . وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ، ان الله لايهدى القوم الكافرين (٤) ومعنى يعصمك

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير (٣/٥٦٣)
(٢) تفسير القرطبى (١٦/٥٥ - ٥٦)
(٣) السيرة النبوية لابن الكثير (١/٢٥١)
(٤) المائدة (٦٧)

من الناس : يمنعك من فتكهم ــ مأخوذ من عصام القربة وهو ماتوكأ به ــ أى ما يربط به فمهما بلغ من سير جلد أو خيط ــ والمراد بالناس الكفار الذين يتضمن تبليغ الوحى بيان كفرهم وضلالهم وفساد عقائدهم وأعمالهم ، والنعى عليهم وعلى سلفهم فان ذلك يغيظهم ويحملهم على الايذاء (١) .

وقال تعالى : (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ، انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون) (٢) . (والمعنى انا كفيناك المستهزئين يامحمد الذين يستهزئون بك ويسخرون منك فاصدع بأمر الله ولاتخف شيئا سوى الله فان الله كافيك من ناصبك وعاداك (٣) .

(يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واصبر لحكم ربك يامحمد الذى حكم به عليك وامض لامره ونهيه ، وبلغ رسالته فانك بأعيننا .(٤)

يقول جل ثناؤه : فانك بمرأى منا نراك ونرى عملك ونحن نحوطك ونحفظك ، فلا يصل اليك من أرادك من المشركين بسوء (٥).

(والعين هنا مجاز عن الحفظ ، ويتجوز بها أيضا عن الحافظ . وهو مجاز مشهور . ولوح الزمخشرى فى سورة (المؤمنون) الى أن فائدة الجمع الدلالة على المبالغة فى الحفظ كأن معه من الله تعالى حفاظا يكلؤونه بأعينهم) (٦).

عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبى صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الاية (والله يعصمك من الناس) قالت : فأخرج النبى صلى الله عليه وسلم رأسه من القمبة وقال : " يا أيها الناس . انصرفوا فقد عصمنا الله عز وجل " رواه الترمذى وابن أبى حاتم وغيرهما (٧).

وعن محمد بن كعب القرظى وغيره قالوا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل منزلا اختار له اصحابه شجرة ظليلة فيقيل ــ بفتح الياء ــ تحتها ، فأتاه أعرابى فاخترط سيفه ثم قال : من يمنعك منى ؟ فقال : " الله عز وجل " .

---

(١) تفسير المنار : (٤٧٣/٦)
(٢) الحجر : (٩٤ ــ ٩٦)
(٣) الطبرى (٤٨/١٤)
(٤) الطور (٤٨)
(٥) الطبرى : (٢٢/٢٧)
(٦) روح المعانى للالوسى (٣٤٥/٨)
(٧) ابن كثير (٧٨/٢)

فرعدت يد الاعرابى وسقط السيف منه وضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه :
فأنزل الله عز وجل : " والله يعصمك من الناس " رواه ابن جرير (١).

وقد رويت هذه القصة فى الصحيح على أن غورث ــ بفتح الغين وسكون الواو وفتح الراء ــ ابن الحاجب صاحب هذه القصة وان النبى صلى الله عليه وسلم عفا عنه ، فرجع الى قومه وقال : جئتكم من عند خير الناس (٢).

وروى أنه وقع له صلى الله عليه وسلم مثلها فى غزوة غطفان بذى أمر مع رجل يقال له دعثور ــ بضم الدال ــ بن الحارث ، وأن الرجل أسلم ، فلما رجع الى قومه الذين أغروه ، وكان سيدهم واشجعهم ، قالوا : أين ماكنت تقول وقد أمكنك ؟ فقال : انى نظرت الى رجل أبيض طويل دفع فى صدرى فوقعت لظهرى وسقط السيف فعرفت أنه ملك وأسلمت.

قيل : وفيه نزلت : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم ، واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون (٣)

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : تواعدت أنا وأبو جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ قبل اسلامهما ــ فجئنا منزله فسمعنا له ، فافتتح وقرأ الحاقة . الى (فهل ترى لهم من باقية) فضرب أبو جهم على عضد عمر وقال : أنج وفرا هاربين ، فكانت من مقدمات اسلام عمر (٤)

١٥ــ رؤياه فى المنام حــق :

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رآنى فى المنام فقد رآنى فان الشيطان لايتمثل بى (٥).

وعن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة أو لكأنما رآنى فى اليقظة لايتمثل الشيطان بى وقال "الراوى" فقال أبو سلمة قال أبو قتادة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من رآنى فى المنام فقد رآى الحق" (٦).

وعن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من رآنى فى النوم فقد رآنى فانه لاينبغى للشيطان أن يتشبه بى (٧) قال فى فتح البارى : قال

---

(١) تفسير ابن كثير (٧٩/٢)
(٢) مناهل الصفا للسيوطى (٢٩٢/١) والشفا للقاضى عياض : (٢٩٠/١)
(٣) المائدة (١١) نفس المصدرين السابقين (٤) الشفا (٢٩٢/١)
(٥) البخارى ومسلم (٦) البخارى ومسلم
(٧) صحيح مسلم (٥٤/٧)

الطيبى ... والذى يظهر لى أن المراد ، من رآنى فى المنام على أى صفة كانت فليستبشر ويعلم أنه قد رآى الروءيا الحق التى هى من الله لا الباطل الذى هو الحلم .

وفى هذه الاحاديث أن الله تعالى عصم مثاله صلى الله عليه وسلم أن يتمثل به الشيطان فى النوم كما عصم ذاته الكريمة منه فى اليقظة . قال القسطلانى : فان قيل كيف يكون ذلك وهو بالمدينة والرائى فى المشرق أو المغرب ، أجيب بأن الروءيا أمر يخلقه الله تعالى ولايشترط فيها عقلا مواجهة ولا مقابلة ولا مقارنة ولا خروج شعاع ولا غيره .

فان قلت : كثيرا مايرى على خلاف صورته المعروفة ويراه شخصان فى حالة واحدة فى مكانين والجسم الواحد لايكون الا فى مكان واحد ؟؟ أجيب بأنه يعتبر فى صفاته لا فى ذاته فتكون ذاته عليه الصلاة والسلام مرئية وصفاته متخيلة غير مرئية . فالادراك لايشترط فيه تحديث الابصار ولا قرب المسافة فلايكون المرئى مدفونا فى الارض ولا ظاهرا عليها وانما يشترط كونه موجودا . أ . هـ .

وقال ابن العربى : ان أكثر ما تقع روءياه صلى الله عليه وسلم بالقلب ثم بالبصر لكنها ليست كالروءيا المتعارفة وانما هى جمعية حالية وحالة برزخية وأمر وجدانى فلا يدرك حقيقته الا من باشره (١)

وروءيا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تدل على الخصب والامطار ، وكثرة الرحمة ونصر المجاهدين وظهور الدين وظفر الغزاة والمقاتلين ودمار الكفار وظفر المسلمين بهم وصحة الدين . هذا اذا روءى فى الصفاة المحمودة .

وربما دل على الحوادث فى الدين وظهور الفتن والبدع اذا روءى فى الصفات المكروهـــة .

١٦ــ هل تثبت بروءياه أحكام شرعيـــة ؟

حقق الحافظ بن حجره هذه المسألة وقال : ان النائم لو رأى النبى صلى الله عليه وسلم يأمره بشئ لابد أن يعرضه على الشرع الظاهر ، أى فان وافقه قبل وكان الشرع هو الحجة . وان خالفه فهو مردود ككل الهام خالف الشرع . فلم يبين بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم لعلماء الشريعة فى كل عصر وفى كل طبقة الا اتباع النصوص فى القرآن أو فى السنة أو اتباع ما اجمع عليه المجتهدون مما استند على دليل منهما أو ما استنبط من ادلتهما أو قيس قياسا لا قادح فيه على بعض نصوصهما أو جزئية أدخلت تحت عموم كلية تشملها . (٢)

---

(١) زاد المسلم (١٧٨ ــ ١٩٠)

(٢) زاد المسلم (١٨٨/٣ ــ ١٨٩)

١٧ـ دفنه صلى الله عليه وسلم حيث قبض :

عن عائشة قالت : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فى دفنه. فقال ابو بكر : سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا مانسيته . قال : "ماقبض الله نبيا الا فى الموضع الذى يجب ان يدفن فيه (١). ادفنوه موضع فراشه .

واخرج البيهقى عن سالم بن عبيد ، وكان من أصحاب الصفة ، قال : دخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات ، ثم خرج ، فقيل له : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم . فعلموا أنه كما قال .

قيل : وكيف نصلى عليه ؟ قال : تجيئون عصبا عصبا " طائفة طائفة " فتصلون. فعلموا أنه كما قال . قالوا : هل يدفن ؟ قال : نعم . قالوا : أين ؟ قال : حيث قبض الله روحه فانه لم يقبض روحه الا فى مكان طيب . فعلموا أنه كما قال.

وأخرج أبو يعلى عن عائشة قالت : اختلفوا فى دفنه ، فقال على ان أحب البقاع الى الله مكان قبض فيه نبيه .

١٨ـ تحريم الزكاة والصدقة عليه وعلى أهله :

عن المطلب بن ربيعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ان هذه الصدقات انما هى اوساخ الناس وانها لا تحل لمحمد ولا لال محمد " رواه مسلم (٢)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى بطعام من غير أهله سأل عنه ، فان قيل هدية أكل ، وان قيل صدقة لم يأكل (٣).

وعن ابن عباس قال : استعمل النبى صلى الله عليه وسلم الارقم الزهرى على السعاية " جمع الصدقات " فاستتبع أبا رافع مولى النبى صلى الله عليه وسلم ، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : " يا أبا رافع ، ان الصدقة حرام على محمد وعلى آل محمد " (٤) .

وعن أبى رافع . بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان من بنى مخزوم على الصدقة ، فقال لابى رافع : اصحبنى كيما نصيب منها . قال : لا ، حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسأله ، وانطلق فسأله ، فقال : " ان الصدقة لاتحل لنا ، وان مولى القوم من أنفسهم " رواه الخمسة الا ابن ماجه وأخرجه ايضا ابن خزيمة وابن حبان وصححاه ، وصححه الترمذى (٥) .

---

(١) الشمائل للترمذى (٢٢٥)
(٢) الخصائص الكبرى (٣/٢٦٥ ـ ٢٦٧) والزرقانى (٥/١٣١)
(٣) رواه أحمد ـ المرجع السابق (٤) المرجع السابق
(٥) المرجع السابق

وعن المطلب بن ربيعة بن الحراث قال : جئت أنا والفضل بن العباس فقلنا يارسول الله : جئنا لتوءمرنا على هذه الصدقات . فسكت ورفع رأسه الى سقف البيت حتى أردنا أن نكلمه ، فأشارت الينا زينب من وراء حجابها كأنها تنهانا عن كلامه ، واقبل فقال " ان الصدقة لاتحل لمحمد ولا لال محمد ، وانما هى أوساخ الناس " رواه مسلم (١).

١٩- لايـــــــورث :

عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لانورث ماتركنا صدقة ، انما يأكل آل محمد فى هذا المال ، وانى والله لا أغير شيئا من صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالها التى كانت عليها فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عملن فيها ماعمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) متفق عليـــه .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تقتسم ذريتى دينارا ولا درهما . ما تركت بعد نفقة نسائى وموءونة عاملى فانه صدقة(٣) رواه البخارى ومسلم .

وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : ان أزواج النبى صلى الله عليه وسلم حين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أردن أن يبعثن عثمان بن عفان الى أبى بكر فيسألنه ميراثهن من النبى صلى الله عليه وسلم . قالت عائشة لهن : أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لانورث . ماتركنا فهو صدقة"(٤). متفق عليه واللفظ لمسلـم .

والحكم فى سبب عدم ميراث الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، لئلا يظن بهم أنهم جمعوا المال لورثتهم .

وقيل : لما يخشى على وارثهم من أن يتمنى لهم الموت فيقع فى محظور عظيم .
وقيل : لانهم كالاباء لاممهم فمالهم لكل أولادهم ، وهو معنى الصدقة (٥) وقد روى ابن ماجه عن أبى الدرداء : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ان العلماء هم ورثة الانبياء لان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، انما ورثوا العلم ، فمن اخذه أخذ بحظ وافر "(٦).

---

(١) المرجع السابق
(٢) زاد المسلم (١٥٣/٥ ط الشعب)
(٣) مسلم (١٥٦/٥)
(٤) مسلم (١٥٣/٥ ط. الشعب)
(٥) زاد المسلم (٣٠٧/٥)
(٦) الخصائص (٣١٣/٣)

(٤) مسلم (١٥٣/٥ ط

٢٠ـ أرسل رحمة للعالمين :

قال الله تعالى : (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) (١) وقال تعالى : (وماكان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، وماكان الله معذبهم وهم يستغفرون) (٢).

وهذه الاية مرتبطة كل الارتباط بقوله تعالى قبلها : (واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ، أو ائتنا بعذاب أليم) فان الكفار طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم تعجيل العذاب والرسول موجود بينهم ، ولذلك نزلت (وماكان الله ليعذبهم وأنت فيهم) كذا فى صحيح مسلم (٣).

ومعنى ذلك أن الرسل قبله صلى الله عليه وسلم كانوا يدعون على مخالفيهم بالبوار والخسف فيصيبهم ذلك مع وجود الرسل بينهم كنوح وهودوصالح ولوط وشعيب فان أقوامهم عذبوا مع وجود هوءلاء الرسل ، ومن ذلك قوله تعالى (فكلا أخذ نابذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ، ومنهم من أخذته الصيحة ، ومنهم من خسفنا به الارض ، ومنهم من أغرقنا ، وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) (٤)

غير أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رحمة لامته ، فلم يصبهم أذى فى حياته مع شدة ضراوتهم عليه وعداوتهم له .

روى البخارى رضى الله عنه قال : " قيل يارسول الله ، ادع على المشركين . قال : انى لم أبعث لعانا وانما بعثت رحمة " (٥)

٢١ـ الكوثر :

قال الله تعالى : (انا أعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر ، ان شانئك هو الابتر) (٦).

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : أغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم اغفاءة ، فرفع رأسه مبتسما ، فلما قال لهم واما قالوا له : يارسول الله ، لم ضحكت ؟ فقال : " أنزلت على آنفا سورة " فقرأ : " بسم الله الرحمن الرحيم . انا أعطيناك الكوثر " فلما قرأها قال : " هل تدرون ما الكوثر ؟ " قالوا الله ورسوله أعلم . قال : " فانه نهر وعدنيه ربى عز وجل فى الجنة وعليه خير كثير . عليه حوض ترد عليه أمتى يوم القيام ، آنية عدد الكواكب (٧) .

---

(١) الانبياء (١٠٧) (٢) الانفال (٣٣)
(٣) الطبرى (٣٩٨/٧) (٤) العنكبوت (٤٠)
(٥) ابن كثير (٢٠١/٣) (٦) سورة الكوثر
(٧) رواه أبو داود .

وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " بينا أنا أسير فى الجنة اذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف . قلت : ماهذا ياجبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذى أعطاك ربك ، فاذا طينة أوصيبة مسك أذفر " (١) (حسن) .

عن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وابيض من الثلج " (٢)

وعن أنس بن مالك قال " لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم مضى به جبريل فى السماء الدنيا فاذا هو بنهر عليه قصر من اللؤلؤ وزبرجد ، فذهب يشم ترابها فاذا هو مسك . قال : ياجبريل ، ماهذا النهر ؟ قال : هو الكوثر الذى خبأ لك ربك " (٣)

٢٢- أمته خير الامم :

وقد اختص صلى الله عليه وسلم بأن أمته خير الامم وآخر الامم .

فعن معاوية بن حيدة أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى قوله تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وقال : " انكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى " (٤) رواه أحمد والترمذى وحسنه ابن ماجه .

٢٣- أمته صلى الله عليه وسلم أقل عملا وأكثر أجرا :

قال الشيخ عز الدين " ابن عبد السلام " : ومن خصائصه أن أمته أقل عملا من الامم السابقة وأكثر أجرا " (٥) .

وعن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "انما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس . أوتى أهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى اذا انتصف النهار عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ثم اعطى أهل الانجليل الانجليل فعملوا الى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ، ثم أوتينا القرآن فعملنا الى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين ، فقال أهل الكتابين : أى

---

(١) رواه البخارى وأبو داود والترمذى .
(٢) رواه الترمذى بسند صحيح واحاديث الكوثر فى التاج الجامع (٥/٤٠٥) .
(٣) رواه ابن كثير وهو مخرج فى الصحيحين (٤/٥٥٧) .
(٤) الخصائص الكبرى (٣/١٩٧) .
(٥) قاله فى رسالة بداية السول فى تفضيل الرسول .

ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين واعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن أكثر عملا . قال الله تعالى : " وهل ظلمتكم من أجركم من شئ ، قالوا : لا . قال : " فهو فضلى أوتيه من أشاء " (١) .

٢٤- اسلام قرينه من الشياطين :

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " مامنكم من أحد الا ومعه قرينه من الجن وقرينه من الملائكة " قالوا : واياك يارسول الله ؟ قال : " واياى ، ولكن الله أعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى الا بخير " (٢) .
والمعنى أن قرينه صلى الله عليه وسلم تأثر بنبوته فأسلم على يديه ، وهذا هو الرأى الراجح .

٢٥- اختصاصه صلى الله عليه وسلم بالمقام المحمود وبالشفاعة العظمى فى فصل القضاء

قال الله تعالى : (ومن الليل متهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) (٣) .
أخرج الامام أحمد ، وكذلك البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " انا سيد الناس يوم القيامه ، وهل تدرون مم ذلك ؟ يجمع الله الاولين والاخرين فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ولايحتملون ، فيقول بعض الناس لبعض ألا ترون الى ما أنتم فيه ماقد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم ؟ فيقول الناس لبعض : أبوكم آدم فيأتون آدم فيقولون : آيادم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك فاشفع لنا الى ربك ، ألا ترى الى مانحن فيه ألا ترى ماقد بلغنا ؟ فيقول آدم ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانه نهانى عن الشجرة فعصيت ، نفسى نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا فيقولون يانوح أنت أول الرسل الى أهل الارض وسماك الله عبدا شكورا فاشفع لنا الى ربك الا ترى مانحن فيه ؟ ألا ترى ماقد بلغنا ، فيقول نوح ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولم يغضب بعده مثله وأنه كانت لى دعوة دعوتها على قومى (٤) نفسى نفسى ، اذهبوا الى غيرى ، اذهبوا الى ابراهيم فيأتون ابراهيم فيقولون يا أبراهيم أنت نبى الله وخليله من أهل الارض ، ألا ترى مانحن فيه ؟ ألا ترى ماقد بلغنا ؟ فيقول

---

(١) أخرجه الشيخان (الخصائص ٣/٢١٧) .
(٢) رواه مسلم (الخصائص الكبرى للسيوطى ٣/١٣٩)
(٣) الاسراء (٧٩) وقد اختلف العلماء فى المقام المحمود على عدة آراء وأصحها أنه الشفاعة العظمى ، حين يستشفع به الخلائق الى الله عز وجل لكى يصرفهم من حر الموقف وشدته . انظر تفسير القرطبى والحافظ ابن كثير وغيرهما .
(٤) وهى قوله تعالى : (رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) .

أن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله فذكر كذباته (١) نفسى نفسى نفسى ، اذهبوا الى غيرى ، أذهبوا الى موسى فيأتون موسى فيقولون : ياموسى أنت رسول الله اصطفاك الله برسالاته وبتكليمه على الناس ، اشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه ، الا ترى ماقد بلغنا ؟ فيقول : ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وانى قتلت نفسا لم أومر بقتلها نفسى نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى ، اذهبوا الى عيسى • فيأتون عيسى فيقولون : ياعيسى انت رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ، وكلمت الناس فى المهد فاشفع لنا الى ربك ، ألا ترى مانحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم : ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولم يغضب بعده مثله ، ولم يذكر ذنبا ، اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى محمد • فيأتون فيقولون : يامحمد أنت رسول الله وخاتم النبيين غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر ، فأشفع لنا الى ربك ، الا ترى ماقد بلغنا ؟ ، ألا ترى مانحن فيه ؟ فأقوم فآتى تحت العرش فأقع ساجدا لربى يفتح الله تعالى على ويلهمنى من محامده وحسن الثناء عليه مالم يفتحه على أحد قبلى ، فيقال : يامحمد ارفع رأسك سل تعطه ، اشفع تشفع ، فيقول : يارب أمتى أمتى يارب أمتى أمتى يارب أمتى أمتى ، فيقال : يامحمد ادخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سواه من الابواب ، ثم قال : والذى نفس محمد بيده لما بين مصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى •

وأخرج الشيخان عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " يجمع المؤمنون يوم القيامة فيلهمون لذلك اليوم (٢) فيقولون لو استشفعنا الى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا ، فيأتون آدم فيقولون له : يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شئ ، فاشفع لنا الى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا ، فيقول لهم آدم : لست هناكم ويذكر ذنبه الذى أصاب فيستحى ربه من ذلك ، ويقول : ولكن أئتوا نوحا فانه أول رسول بعثه الله الى أهل الارض فيأتون نوحا فيقول : لست هناكم ويذكر خطيئة سؤال ربه ماليس له به علم فيستحى ربه من ذلك ويقول : ولكن ائتوا ابراهيم خليل الرحمن ، فيأتونه فيقول : لست هناكم ولكن أئتوا موسى عبدا كلمه الله وأعطاه التوراة ، فيأتون موسى فيقول : لست هناكم ويذكر لهم النفس التى قتل بغير نفس فيستحى ربه من ذلك ، ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمته وروحه ، فيأتون عيسى فيقول : لست هناكم ، ولكن ائتوا محمدا عبدا غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر فيأتونى ، فأقوم فأمشى بين سماطين من المؤمنين حتى استأذن على ربى ، فاذا رأيت

---

(١) هى فى ظاهرها كذبات ، ولكنها فى الحقيقة ليست كذبا ، وهى ثلاث كذبات :
الاولى : قوله لقومه لما سألوه عن تكسيره للاصنام (بل فعله كبيرهم هذا •)
الثانية : قوله لهم حين دعوه الى الخروج معهم فى عيد لهم (أنى سقيم)
الثالثة : قوله عن السيده سارة زوجته عندما سئل عنها " انها أختى " •

(٢) فى رواية البخارى " يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهمون بذلك فيقولون •••• الخ •

ربى وقعت له ساجدا ، فيدعنى ماشاء الله أن يدعنى ثم يقال : ارفع محمد رأسك قل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه ، فأرفع رأسى فأحمده بتحميد يعلمنيه ، ثم أشفع فيحد لى حدا فأدخلهم الجنة ثم أعود اليه الثانية ، فاذا رأيت ربى وقعت له ساجدا فيدعنى ماشاء الله أن يدعنى ثم يقول : أرفع محمد قل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع ، فأرفع رأسى فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لى حدا فأدخلهم الجنة ، ثم أعود الثالثة فاذا رأيت ربى وقعت له ساجدا ، فيدعنى ماشاء الله أن يدعنى ثم يقال : ارفع محمد قل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع ، فأرفع رأسى فأحمده بتحميد يعلمنيه ،ثم أشفع فيحد لى حدا فأدخلهم الجنة ثم أعود الرابعة فأقول : رب مابقى الا من حبسه القرآن ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : فيخرج من النار من قال لا اله الا الله ، وكان فى قلبه من الخير مايزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله ، وكان فى قلبه من الخير مايزن برة ، ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان فى قلبه من الخير مايزن ذرة " .

وأخرج أحمد بسند صحيح عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "انى لقائم انتظر متى يعبر الصراط اذ جاءنى عيسى فقال ، هذه الانبياء قد جاءتك يامحمد يسألون ويدعون الله أن يفرق بين جميع الامم الى حيث يشاء الله لغم ماهم فيه فالخلق ملجمون بالعرق ، فأما المؤمن فهو عليه كالزكمة ، وأما الكافر فيغشاه الموت فقال : انتظر حتى ارجع اليك فذهب نبى الله صلى الله عليه وسلم فقام تحت العرش فلقى مالم يلق ملك مصطفى ولا نبى مرسل ، فأوحى الله الى جبريل أن أذهب الى محمد وقل له : ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع ، فشفعت فى أمتى أن اخرج من كل تسعة وتسعين انسانا واحدا فما زلت أتردد الى ربى فلا أقوم منه مقاما الا شفعت حتى أعطانى الله من ذلك أن قال : يامحمد أدخل من أمتك من خلق الله تعالى من شهد أن لا اله الا الله يوما واحدا مخلصا ومات على ذلك " .

وأخرج أحمد وأبو يعلى عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "انه لم يكن نبى الا له دعوة قد تنجزها فى الدنيا ، وانى قد اختبأت دعوتى شفاعة لامتى وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من تنشق عنه الارض ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر ، آدم فمن مادونه تحت لوائى ولا فخر ويطول يوم القيامة على الناس فيقول بعضهم لبعض : انطلقوا بنا الى آدم أبى البشر فليشفع لنا الى ربنا فليقضى بيننا فيقول : انى لست هناكم انى قد أخرجت من الجنة بخطيئتى وانه لايهمنى اليوم الا نفسى ، ولكن ائتوا نوحا رأس النبيين ، فيأتون نوحا : اشفع لنا الى ربنا فليقضى بيننا ، فيقول : انى لست هناكم انى سألت ابنى وانه لايهمنى اليوم الا نفسى ولكن ائتوا ابراهيم خليل الرحمن فيأتون ابراهيم فيقولون يا ابراهيم اشفع لنا الى ربنا فليقضى بيننا فيقول : انى لست هناك انى كذبت فى الاسلام ثلاث كذبات والله ان أجادل بهن الا عن دين الله قوله " انى سقيم " وقوله " بل فعله كبيرهم هذا " وقوله لامرأته حين آتى على الملك أختى .

وانه لايهمنى اليوم الا نفسى ولكن ائتوا موسى الذى اصطفاه الله برسالته وكلامه ، فيأتون موسى فيقولون : ياموسى أنت الذى اصطفاك الله برسالته وكلامه فاشفع لنا الى ربك فيقول : لست هناكم انى قتلت نفسا بغير نفس وانه لايهمنى اليوم الا نفسى ، ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته ، فيأتون عيسى فيقولون اشفع لنا الى ربك فليقض بيننا فيقول : انى لست هناكم انى اتخذت الها من دون الله وانه لا يهمنى اليوم الا نفسى ، ولكن ان كل متاع فى وعاء مختوم عليه أكان يقدر على مافى جوفه حتى يفض الخاتم ؟ فيقولون : لا ! فيقول : ان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين قد حضر اليوم وقد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فيأتون فيقولون : يامحمد اشفع لنا الى ربك فليقض بيننا ، فأقول أنا لها حتى يأذن الله لمن يشاء ويرضى ، فاذا أراد الله أن يصدع بين خلقه نادى مناد : أين أحمد وامته ؟ فنحن الاخرون الاولون نحن آخر الامم وأول من يحاسب فتفرج لنا الامم عن طريقنا فنمضى غرا محجلين من أثر الطهور ، فتقول الامم : كادت هذه الامة أن تكون أنبياء كلها فنأتى باب الجنة فآخذ بحلقة الباب فأقرع الباب فيقال من أنت ؟ فأقول أنا محمد فآتى ربى عز وجل على كرسيه فأخر له ساجدا فأحمده بمحامد لم يحمده بها أحد كان قبلى وليس يحمده بها أحد بعدى فيقال ، يامحمد ارفع رأسك ، سل تعطه وقل يسمع وأشفع (1) يشفع ، فأرفع رأسى فأقول أى رب أمتى أمتى فيقال : أخرج من كان قلبه مثقال كذا وكذا ، ثم أعود فأسجد فأقول ماقلت ؟ فيقال : أرفع رأسك وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأقول أى رب أمتى أمتى فيقول : أخرج من كان فى قلبه مثقال كذا وكذا دون الاول ، ثم أعود فأسجد فأقول مثل ذلك فيقال : أرفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع ، فأقول أى رب أمتى أمتى فيقول : أخرج من كان فى قلبه مثقال وكذا وكذا دون ذلك " .

وأخرج الطبرانى فى " الاوسط " والحاكم وصححه والبيهقى عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلىالله عليه وسلم " للانبياء منابر من ذهب فيجلسون عليها ويبقى منبرى لا أجلس عليه قائما بين يدى ربى منتصبا مخافة أن يبعث بى الى الجنة وتبقى أمتى بعدى فأقول : يارب أمتى أمتى ، فيقول الله : يامحمد وما تريد أن أصنع بأمتك ؟ فأقول يارب عجل حسابهم ، فما أزال أشفع حتى أعطى صكاكا برجال قد بعث بهم الى النار ، وحتى ان مالكا خازن النار يقول يامحمد ما تركت لغضب ربك فى أمتك من بقية" .

وأخرج البخارى عن ابن عمر قال : " ان الناس يصيرون يوم القيامه جثاء كل أمة تتبع نبيها ، يقولون : يافلان اشفع لنا يافلان اشفع لنا حتى تنتهى الشفاعة الى النبى صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه مقاما محمودا " .

وأخرج البخارى أيضا عن ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ان الشمس لتدنو حتى يبلغ العرق نصف الاذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم فيقول : لست بصاحب ذلك ، ثم موسى فيقول كذلك ، ثم لمحمد فيشفع حتى يقضى الله تعالى بين

الخلق ، فيمشى حتى يأخذ بحلقة باب الجنة فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم " .

واخرج البزار والبيهقى فى البعث عن حذيفة قال : " يجمع الله الناس فى صعيد واحد ولا تتكلم نفس فيكون أول من يدعى محمد صلى الله عليه وسلم فيقول : لبيك وسعديك والخير فى يديك والشر ليس اليك والمهدى من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا منجأ منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت ، فعند ذلك يشفع فذلك قوله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) .

واخرج ابن أبى شيبة وابن أبى عاصم فى السنة عن سلمان قال : " تعطى الشمس يوم القيامه حر عشر سنين ثم تدنى من جماجم الناس حتى تكون قاب قوسين ، فيعرقون حتى يرشح العرق فى الارض قامة ثم يرتفع حتى يغرغر الرجل ، قال سلمان : حتى يقول الرجل غق غق فاذا رأوا ماهم فيه قال بعضهم لبعض : ألا ترون ما أنتم فيه ؟ ائتوا أباكم آدم فليشفع لكم الى ربكم فيأتون الى آدم فيقولون : يا آبانا أنت الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته ، قم فاشفع لنا الى ربع فقد ترى مانحن فيه ، فيقول : لست هناكم فيقولون الى من تأمرنا ؟ فيقول : ائتوا عبدا شاكرا فيأتون نوحا فيقولون يانبى الله أنت الذى جعلك الله عبدا شاكرا وقد ترى مانحن فيه فاشفع لنا الى ربك فيقول : لست هناكم فيقولون الى من تأمرنا ؟ فيقول : ائتوا خليل الرحمن ابراهيم فيأتون ابراهيم فيقولون ياخليل الرحمن قد ترى مانحن فيه فاشفع لنا الى ربك فيقول : لست هناكم فيقولون الى من تأمرنا ؟ فيقول ائتوا موسى عبد اصطفاه الله تعالى برسالاته وبكلامه فيأتون موسى فيقولون قد ترى مانحن فيه فاشفع لنا الى ربك فيقول : لست هناكم فيقولون الى من تأمرنا ؟ فيقول : ائتوا كلمة الله وروحه عيسى فيأتون عيسى فيقولون ياكلمة الله وروحه قد ترى مانحن فيه ، فاشفع لنا الى ربك : فيقول : لست هناكم فيقولون الى من تأمرنا ؟ فيقول : ائتوا عبدا فتح الله على يديه وغفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر ويجىء فى هذا اليوم آمنا محمدا فيأتون النبى صلى الله عليه وسلم فيقولون : يانبى الله انت الذى فتح الله بك وغفر لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر وجئت فى هذا اليوم آمنا وقد ترى مانحن فيه فاشفع لنا الى ربك فيقول أنا صاحبكم فيخرج يجوس الناس حتى ينتهى الى باب الجنة ، فيأخذ بحلقة الباب من ذهب فيقرع الباب فيقال من هذا ؟ فيقول محمد فيفتح له فيجىء حتى يقوم بين يدى الله فيستأذن فى السجود فيوءذن له فيسجد فينادى يامحمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع وادع تجب فيفتح الله عليه من الثناء والتحميد والتمجيد مالم يفتحه لاحد من الخلائق وينادى يامحمد ، ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع وادع تجب فيرفع رأسه فيقول : أمتى أمتى مرتين أو ثلاثا فيشفع فى كل من كان فى قلبه مثقال حبة من ايمان أو مثقال شعيرة من ايمان ، أو مثقال حبة من خردل من ايمان فذلك المقام المحمود " .

وأخرج الطبرانى فى " الكبير " وابن أبى حاتم وابن مردويه عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اذا جمع الله الاولين والاخرين وقضى بينهم وفرغ من القضا ، يقول المؤمنون قدقضى بيننا ربنا وفرغ من القضاء فمن يشفع لنا الى ربنا فيقولون آدم خلقه الله بيده وكلمه فيأتونه فيقولون قد قضى ربنا وفرغ من القضاء قم أنت فأشفع لنا الى ربنا فيقول : ائتوا نوحا فيأتون نوحا فيدلهم على ابراهيم فيأتون ابراهيم فيدلهم على موسى فيأتون موسى فيدلهم على عيسى فيأتون عيسى فيقول : أدلكم على العربى الامر فيأتون فيأذن الله لى أن أقوم اليه فيثور مجلس من أطيب ريح شمها أحد قط حتى آتى ربى فيشفعنى ويجعل لى نورا من شعر رأسى الى ظفر قدمى" .

وأخرج ابن أبى عاصم فى " السنة " عن أنس يرفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " مازلت أشفع الى ربى ويشفعنى حتى أقول : أى رب شفعنى فيمن قال لا اله الا الله فيقول هذه ليس لك ولا لاحد ، وعزتى وجلالى ورحمتى لا أدع فى النار أحدا يقول لا اله الا الله " .

وأخرج أحمد والطبرانى عن عبادة بن الصامت عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " ان الله تعالى قال : يامحمد انى لم أبعث نبيا ولا رسولا الا وقد سألنى مسألة أعطيته اياها فسل يامحمد تعطه فقلت سألتى شفاعة لامتى يوم القيامة فقال أبو بكر يارسول الله وما الشفاعة ؟ قال : أقول يارب شفاعتى التى اختبأت عندك فيقول الرب نعم . فيخرج بقية أمتى من النار فيدخلهم الجنة " .

وأخرج أحمد والطبرانى والبزار عن معاذ بن جبل وأبى موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ان ربى خيرنى بين أن يدخل نصف أمتى الجنة أو شفاعة فاخترت لهم الشفاعة وعلمت أنها أوسع لهم وهى لمن مات لايشرك بالله شيئا" .

وأخرج الطبرانى فى الاوسط عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "آتى جهنم فأضرب بابها فيفتح لى فأدخلها فأحمد الله بمحامد ماحمده أحد قبلى مثله ولايحمده أحد بعدى ثم أخرج منها من قال لا اله الا الله مخلصا" .

وأخرج أبو يعلى عن عوف بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أعطينا أربعا لم يعطهن أحد كان قبلنا ، وسألت ربى الخامسة فأعطانيها وهى ماهى كان النبى يبعث الى قومه لا يعد وها وبعثت للناس كافة وأرهب منا عدونا مسيرة شهر وجعلت الارض لنا طهورا ومسجدا وأحل لنا الخمس ولم تحل لاحد قبلنا وسألته أن لا يلقاه عبد من أمتى يوحده الا أدخله الجنة " .

وأخرج أحمد وابن أبى شيبة والطبرانى عن أبى موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أعطيت خمسا لم يعطهن نبى قبلى : بعثت الى الاحمر والاسود ، ونصرت بالرغب مسيرة شهر وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا وأحلت لى الغنائم ولم تحل لمن كان قبلى ، وأعطيت الشفاعه وأنه ليس مننبى الا وقد قدم الشفاعة ، وأنى أخرت شفاعتى جعلتها لمن مات من أمتى لايشرك بالله شيئا " .

وأخرج ابن أبى شيبه وأبو يعلى وأبو نعيم والبيهقى عن أبى ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أعطيت خمسا لم يعطهن نبى قبلى " فذكر مثل حديث أبى موسى الا أنه قال فى الخامسة : وقيل لى سل تعطه : فأختبأت دعوتى شفاعة لامتى يوم القيامة وهى نائلة منهم ان شاء الله من لم يشرك بالله شيئا " .

وأخرج أحمد والطبرانى فىالاوسطوالحاكم . والبيهقى وأبو نعيم عن أم حبيبة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أريت مايلقى أمتى من بعدى وسفك بعضهم دماء بعض ، وكان ذلك سابقا من الله فسألته أن يولينى شفاعة فيهم يوم القيامة ففعل " .

وأخرج مسلم عن ابن عمر أن رسول صلى الله عليه وسلم تلا قول ابراهيم (فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم) وقول عيسى (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) فرفع يديه وقال أمتى أمتى ، ثم بكى فقال الله تعالى : ياجبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك فى أمتك لانسودك .

وأخرج البزار والطبرانى فى الاوسط عن على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لاشفع لامتى حتى ينادينى ربى أرضيت يامحمد " ؟ فأقول : " أى رب رضيت " .

وأخرج الطبرانى فى الاوسط بسند حسن عن أبى سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أعطيت خمسا لم يعطهن نبى قبلى : بعثت الى الاحمر والاسود وانما كان النبى يبعث الى قومه ، ونصرت بالرعب مسيرة شهر ، وأطعمت المغنم ولم يطعمه أحد كان قبلى ، وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا ، وليس من نبى الا وقد أعطى دعوة فتعجلها وانى أخرت دعوتى شفاعة لامتى وهى بالغة ان شاء الله تعالى من مات لايشرك بالله شيئـا " .

وأخـرج ابن أبى شيبة وأبو يعلى بسند صحيح عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت ربى اللاهين من ذرية البشر أن لا يعذبهم فأعطانيهم قال ابن عبد البر : هم الاطفال لان أعمالهم كاللهو واللعب من غير عقد ولا عزم .

وأخرج أحمد وابن أبى شيبـة والترمذى والحاكم والبيهقى عن أبى بن كعب قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . " اذا كان يوم القيامة كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر " .

وأخرج مسلم عن أبى بن كعب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " أرسل الى ربى أن أقرأ القرآن على حرف ، فرددت عليه يارب هون على أمتى ، فرد على الثانية أن اقرأ على حرفين ، قلت يارب هو على أمتى ، فرد على الثالثة أن أقرأ على سبعة أحرف ولك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها فقلت : اللهم اغفر لامتى وأخرت الثالثة الى يوم القيامة يوم يرغب الى فيه الخلق حتى ابراهيم " .

وأخرج الحاكم والبيهقى فى كتاب الروية عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ما من أحد الا وهو تحت لوائى يوم القيامة ينتظر الفرج وان معى لواء الحمد أنا أمشى ويمشى الناس معى حتى آتى باب الجنة فاستفتح فيقال من هذا ؟ فأقول محمد فيقال مرحبا بمحمد فاذا رأيت ربى خررت له ساجدا أنظر اليه " .

وأخرج أبو نعيم وابن عساكر عن حذيفة بن اليمان قال : قال الصحابة يارسول الله ابراهيم خليل الله ، وعيسى كلمة الله وروحه ، وموسى كلمه تكليما فماذا أعطيت أنت ؟ قال : " ولد آدم كلهم تحت رايتى يوم القيامة ، وأنا أول من تفتح له أبواب الجنة " .

وأخرج البخارى فى تاريخه والطبرانى فى الاوسط والبيهقى وأبو نعيم عن جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " أنا قائد المرسلين ولا فخر وأنا خاتم النبيين ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر" .

وأخرج الدارى والترمذى وأبو نعيم عن ابن عباس قال : جلس ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ينتظرونه ، فتذاكروا فقال بعضهم عجبا أن الله اتخذ من خلقه خليلا فابراهيم خليله ، وقال آخر ماذا بأعجب من أنه كلم موسى تكليما ، وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه ، وقال آخر فآدم اصطفاه الله فخرج عليهم وقال " قد سمعت

كلامكم ان ابراهيم حليل الله وهو كذلك وموسى نجيه وهو كذلك وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك ، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر ، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ، تحته آدم فمن دونه ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامه ولا فخر ، وأنا أول من يحرك غلق الجنة ولا فخر ، فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعى فقراء الموءمنين ولا فخر وأنا أكرم الاولين والاخرين على الله ولا فخر " .

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أرسلت الى الجن والانس والى كل أحمر وأسود ، وأحلت لى الغنائم دون الانبياء ، وجعلت لى الارض كلها مسجدا وطهورا ، ونصرت بالرعب أمامى شهرا وأعطيت خواتيم سورة البقرة وكانت من كنوز العرش وخصصت بها دون الانبياء وأعطيت المثانى (١) مكان التوراة والمنين مكان الانجيل والحواميم مكان الزبور وفضلت بالمفصل ، وأنا سيد ولد آدم فى الدنيا والاخرة ولا فخر ، وبيدى لواء الحمد يوم القيامة وجميع الانبياء تحته ولا فخر ، والى مفاتيح الجنةيوم القيامة ولا فخر وبى تفتح الشفاعة ولا فخر وأنا سابق الخلق الى الجنة ولا فخر وأنا أمامهم وأمتى بالاثر " (٢)

٢٦ـ الصـــلاة عليه عبـــادة :

لقد رفع الله تعالى شأن رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأعلا قدره ، حتى قرن أسمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ باسمه عز وجل فى الشهادتين ، وفى الاذان للصلاة ، وفى كل شئ ذكر فيه المولى جل وعلا .

قال تعالى (ورفعنا لك ذكرك) (٣)

قيل فى معناهـــا :

ذكرناك فى الكتب المنزلة على الانبياء قبلك ، وأمرناهم بالبشارة بك .

وقيل : رفعنا ذكرك عند الملائكة ، وفى السماء ، وعند الموءمنين فى الارض .

---

(١) المثانى : هى السور السبع الطوال ، وهى البقرة وآل عمران والنساء ، والمائدة ، والانعام ، والاعراف ، والانفال ، مع براءة بجعلهما سورة واحدة .

(٢) انظر : الخصائص الكبرى للسيوطى (٣/٢٢٣ – ٢٣٩) .

(٣) سورة الشرح (٤) .

ولا حرج ان يكون رفع ذكره ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنما كان بهذه الامور كلها ، فكل واحد منها سبب من أسباب رفع الذكر .

ومن رفع ذكره ـ صلى الله عليه وسلم ـ الامر بالصلاة عليه بعد أن أخبر سبحانه أنه يصلى عليه هو وملائكته ، ثم أمر المؤمنين بعد ذلك أن يصلوا عليـــه .

قال تعالى : (إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) (١) .

ومن هنا كانت الصلاة ـ صلى الله عليه وسلم ـ عبادة يثاب عليها العبد من الله عز وجل . وقد استفيد ذلك من القرآن الكريم كما فى الاية السابقة : ومن الاحاديث الصحيحة التى منها :

(١) عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشرا " (٢)

(٢) وعن أنس بن مالك رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " من ذكرت عنده فليصل على ، ومن صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا . وفى رواية : من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات ، ويحط عنه بها عشر سيئات ، ورفعه بها عشر درجات "

(٣) وروى الطبرانى فى الصغر والاوسط أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشرا ، ومن صلى على عشرا صلى الله عليه مائة ، ومن صلى على مائة كتب الله بين عينيه براءة (٣) من النفاق ، وبراءة من النار واسكنه الله يوم القيامة مع الشهداء ".

(٤) عن أبى طلحة الانصارى رضى الله عنه قال : أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما طيب النفس يرى فى وجهه البشر ؟ قال : أجل : أتانى آت من ربى عز وجل ، فقال : من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات ، ومحا عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات ، ورد عليه مثلها " (٤) .

---

(١) سورة الاحزاب (٥٦) .
(٢) رواه مسلم وأبو داود والنسائى والترمذى وابن حبان فى صحيحه .
(٣) براءة : أى سلم من التذبذب والخداع والالحاد ، والمروق من الدين .
(٤) رواه أحمد والنسائى .

(٥) وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة " (١)

(٦) وعن عامر بن ربيعة عن أبيه رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ويقول : "من صلى على صلاة لم تزل الملائكة تصلى على فليقل عبد من ذلك أو ليكثر " (٢)

(٧) وعن أبى بن كعب رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال : " يا أيها الناس ! اذكروا الله .. أذكروا الله ، جاءت الراجفة (٣) تتبعها الرادفة (٤) جاء الموت بما فيه قال أبى كعب : فقلت : يارسول الله انى أكثر الصلاة : فكم أجعل من صلاتى . قال : ماشئت قال : قلت : الربع ، قال : ماشئت ، وان زدت فهو خير لك ؟ قال : فقلت : فثلثين ؟ قال : ماشئت فان زدت فهو خير لك . قلت : النصف ؟ قال : ماشئت وان زدت فهو خير لك . قال : أجعل لك صلاتى كلها ؟ قال : اذا يكفى همك ، ويغفر لك ذنبك . (٥)

وفى رواية لاحمد قال: قال رجل : يارسول الله أرأيت ان جعلت صلاتى كلها عليك ؟ قال : اذا يكفيك الله تبارك وتعالى ما أهمك من دنياك وآخرتك .

(٨) وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكثروا على من الصلاة كل يوم جمعة ، فانه مشهود تشهده الملائكة ، وان أحدا لن يصلى على الا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها ، قال قلت : وبعد الموت ، قال : ان الله حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء عليهم الصلاة والسلام (٦) .

(٩) وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكثروا على من الصلاة فى كل يوم جمعة ، فان صلاة أمتى تعرض على فى كل يوم جمعة ، فمن كان أكثرهم على صلاة كان أقربهم منى منزلة " (٧) .

---

(١) رواه الترمذى ، وابن حبان فى صحيحه .
(٢) رواه احمد ، وأبو بكر شيبة ، وابن ماجة .
(٣) الراجفة : أى الواقعة التىترجف الاجرام عندها وهى النفخة الاولى .
(٤) الرادفة : النفخة الثانية .
(٥) رواه أحمد والترمذى والحاكم .
(٦) رواه ابن ماجة باسناد جيد .
(٧) رواه البيهقى باسناد حسن .

(١٠) وعن أوس بن أوس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من أفضل آيامكم يوم الجمعة : فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصفقة فأكثروا على من الصلاة فيه ، فان صلاتكم معروضه على ، قالوا يارسول الله : وكيف تعرض صلاتنا عليك ، وقد أرمت يعنى بليت : ؟ فقال : ان الله عز وجل حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء . (١)

(١١) وعن أبن مسعود رضى الله عنه قال : اذا صليتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنوا الصلاة فانكم لاتدرون لعل ذلك يعرض عليه . قال : فقالوا له : فعلمنا ، قال قولوا : اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين ، وامام المتقين ، وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك أمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة ، اللهم ابعثه مقاما (٢) محمودا يغبطه به الاولون والاخرون . اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد (٣) مجيد (٤) . اللهم بارك على محمد ، وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد (٥).

(١٢) وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : خرجت ذات يوم ، فأاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ألا أخبركم بأبخل الناس ؟ قالوا : بلى يارسول الله . قال : من ذكرت عنده فلم يصل على ، فذلك أبخل الناس (٦).

فيستفاد من كل ماتقدم أن الصلاة على النبى ـ صلى الله عليه وسلم عبادة يثاب عليها العبد من الله عز وجل ، وأنها سبب فى رفع الدرجات وتكفير السيئات ، وفى القرب من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم القيامه . فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة وابن حبان فى صحيحه ، والحاكم وصححه .
(٢) يستحق الثناء الشفاعة : أى مقاما يحمده القائم فيه ، وكل من عرفه ، وهو مطلق فى كل مقام يتضمن كرامة .
(٣) فاعل ما يستوجب به الحمد . كثيرة ـ صيغة مبالغة .
(٤) كثير الخير والاحسان .
(٥) رواه ابن ماجة موقوفا باسناد حسن .
(٦) رواه ابن أبى عاصم فى كتاب الصلاة من طريق على بن يزيد عن القاسم .

من شمائل الرسول

لقد كان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى القمة من الاخلاق الفاضلة والشمائل الكريمة ، والصفات الجليلة ، يتجلى ذلك واضحا فى قول الله عز وجل له (وانك لعلى خلق عظيم) ويقول ــ صلى الله عليه وسلم ــ على نفسه : "أدبنى ربى فأحسن تأديبى" .

هذا الادب الربانى قد استلهمه مما يوحى اليه من ربه عز وجل بالقرآن الكريم الذى جمع الفضائل كلها ، وأحاط بما فيه سعادة البشرية فى الدنيا والاخرة .

وهذا المعنى تجليه السيدة عائشة رضى الله عنها حينما سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : "كان خلقه القرآن" .

وهو صلى الله عليه وسلم انما يضرب لنا بذلك المثل لنقتدى به فى هذه الاخلاق الكريمة ..

ونحن نذكر هنا نماذج من هذه الاخلاق لتكون دليلا للمسلم فى اقتدائه بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاقه الفاضلة .

١ــ رحمته ــ صلى الله عليه وسلم ــ

الرحمة من الصفات التى يوصف بها الله عز وجل ، كما يوصفه بها الانسان .

وهى فى حق الله تعالى معناها الصفة التى بها التفضل والاحسان .

أما فى الانسان فان معناها الرقة فى القلب والتعطف . ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم أرحم الناس ، وأشفقهم حتى على الحيوانات ، بل كان هدف الرسالة الاسلامية انما هى الرحمة التى تمثلت فى الغاية من رسالته صلى الله عليه وسلم وفى ذلك يقول عز وجل (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) (١) .

ويقول صلى الله عليه وسلم عن نفسه . " انما أنا رحمة مهداة " (٢) .

ويروى الامام مسلم فى صحيحه أنه : قيل يارسول الله : ادع على المشركين . قال : انى لم أبعث لعانا ، وانما بعثت رحمة .

---

(١) الانبياء ١٠٧ .

(٢) أخرجه الدارمى من طريق الاعمش عن أبى صالح فى باب : كيف كان أول شأن النبى صلى الله عليه وسلم .

كما تصفه السيدة خديجة رضوان الله عليها فتقول : " انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على واثب الحق " .

وبلغ من رحمته صلى الله عليه وسلم أنه حين شاقه قومه من أهل مكة وتحدوه بقولهم ــ كما حكى القرآن الكريم ــ "اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم " فلم يطلب من ربه أن ينزل عليهم ما سألوا من العذاب بل كان موقفه كما عبر عنه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول الله تعالى فى ابراهيم : (رب انهن أضللن كثيرا من الناس ، فمن تبعنى فانه منى ، ومن عصانى فانك غفور رحيم) . وقول عيسى عليه السلام (ان تعذبهم فانهم عبادك ، وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) فرفع يديه وقال : " اللهم أمتى أمتى" وبكى ، فقال الله عز وجل : ياجبريل ، اذهب الى محمد ــ وربك أعلم ــ فسله مايبكيك ؟ فأتاه جبريل عليه السلام فسأله ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال ــ وهو أعلم ــ فقال الله تعالى : ياجبريل اذهب الى محمد فقل : انا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك " (١) .

ولقد تعدت رحمته صلى الله عليه وسلم من الانسان الى الحيوان فيقول صلى الله عليه وسلم " اذا قتلتم فاحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فاحسنوا الذبح ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته (٢) ويرى صلى الله عليه وسلم رجلا قد أضجع شاة وهو يحد شفرته فقال صلى الله عليه وسلم : " أتريد أن تميتها موتا ، هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها " (٣) .

ومر صلى الله عليه وسلم ببعير قد لصق ظهره ببطنه فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه : "اتقوا الله فى هذه البهائم المعجمة ، فأركبوها صالحة ، وكلوها صالحة" (٤)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "دنا رجل الى بئر فنزل فشرب منها وعلى البئر كلب يلهث ، فرحمه فنزع أحد خفية فسقاه ، فشكر الله له فادخله الجنة" (٥) .

ونختم الحديث عن رحمة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى لا يعلم مقدارها الا الذى أودعها فى قلبه الشريف . وهو الله عز وجل والذى قال عنه : (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) (٦) .

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الايمان ــ التاج (٣/٢٥٨) .
(٢) رواه أحمد ومسلم والنسائى وابن ماجه .
(٣) رواه الطبرانى فى الكبير والاوسط ، كمارواه الحاكم وقال صحيح على شرط البخارى
(٤) رواه أبو داود وابن ماجه
(٥) رواه البخار ومسلم وأبو داود وابن حبان .
(٦) التوبة (١٢٨) .

نختم الحديث بوصيته صلى الله عليه وسلم لامته أن يكونوا رحماء فيقول : " ان الله عز وجل ، يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى . قال : يارب ، كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟.

قال : أما علمت أن عبدى فلان مرض فلم تعده ؟ !!
أما علمت أنك لوعدته لوجدتنى عنده ؟
يا ابن آدم ، استطعمتك ، فلم تطعمنى ، !
قال : يارب ، كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟!!
قال : أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه !! .
أما علمت أنك لو اطعمته لوجدت ذلك عندى !.
يا ابن آدم استسقيتك ، فلم تسقنى ؟
قال : يارب كيف أسقيك وأنت رب العالمين !.
قال : استسقاك عبدى فلان فلم تسقه ، أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى "(١).

---

(١) رواه مسلم .

٢- صدقه صلى الله عليه وسلم وامانته :

الصدق هو مطابقة الواقع ، وهو فضيلة من أعظم الفضائل ، ومن الصفات التى تميز المسلم من غيره ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم "آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد اخلف ، واذا عاهد غدر ".

ولقد كان صلى الله عليه وسلم فى القمة من الصدق والامانة ، حتى كان يعرف بين قومه قبل الرسالة بأنه الصادق الامين ، وحسبه شرفا ثناء ربه عز وجل عليه :(ماضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى . علمه شديد القوى) (١)

ثم يقول بعد ذلك : (ما كذب الفؤاد ما رأى) .

ولقد ضرب صلى الله عليه وسلم أروع الامثلة للامة فى الصدق والامانة .

تقول السيدة عائشة رضى الله عنها ماكان من خلق أبغض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب . ولقد كان الرجل يكذب عنده الكذبة ، فما يزال فى نفسه ، حتى يعلم أنه قد أحدث فيها توبة .

وفى حديث لابن اسحاق عن الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة يقول : " كانت خديجة بنت خويلد ، أمرأة تاجرة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال فى مالها ، وتضاربهم اياه بشئ تجعله لهم ، وكانت قريش قوما تجارا ، فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مابلغها من صدق حديثه وعظم امانته وكرم أخلاقه ، بعثت اليه : فعرضت عليه أن يخرج فى مال لها الى الشام تاجرا ، وتعطيه أفضل ماكانت تعطى غيره من التجار . مع غلام لها يقال له "ميسرة" فقبله رسول الله وخرج فى مالها ، وخرج معه غلامها ميسرة ، حتى قدم الشام ، ثم باع رسول الله سلعته التى خرج بها ، واشترى ما اراد أن يشترى ، ثم اقبل قافلا الى مكه ومعه ميسره ، فلما قدم مكة باعت خديجة ماجاء به فأضعفت أو قريبا (٢) .

ويقول الدكتور محمد حسين هيكل : "واستطاع محمد صلى الله عليه وسلم بأمانته ومقدرته أن يتجر بأموال خديجة تجارة أوفر ربحا مما فعل غيره من قبل ، واستطاع بحلو شمائله وجمال عواطفه ، أن يكسب محبة ميسرة واجلاله ، فلما آن لهم أن يرجعوا الى مكة ، ابتاع لخديجة من تجارة الشام كل ما رغبت اليه أن يأتيها به " (٣).

وهكذا كان صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمانته من أهم العوامل التى حببت السيدة خديجة رضى الله عنها فيه ، ورغبتها فى الزواج منه .

---

(١) النجم ٢ - ٥ .
(٢) سيرة ابن هشام جـ ١٢١/١ . أضعفت . ربح مالها ضعف ما كان عليه .
(٣) حياة محمد ص ٨٣ .

وعندما أمره الله سبحانه وتعالى بالجهر بالدعوة ، وتزل عليه قوله تعالى : " وأنذر عشيرتك الاقربين " صعد على الصفا فقال : " يامعشر قريش " فقالت قريش محمد على الصفا يهتف : فأقبلوا واجتمعوا فقالوا : مالك يامحمد ! قال : " أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل ، أكنتم تصدقوننى ؟ قالوا : نعم .. أنت فينا غير متهم ، وما جربنا عليك كذبا قط(١) !! .. الحديث " ..

وحينما اشتدت المخاصمة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش حتى أصبح كل منهم حريصا على تجريحه وصد الناس عنه بل وقتله : اجتمعوا فى مجلس من مجالسهم ، محاولين صرفه عن دعوته ، فيأبى ، فيشتد بهم الحنق والرغبة فى الكيد له ، حتى ليتآمر أبو جهل على قتله ، ويحدث المجتمعين بذلك بعد قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم ، فيقف النضر بن الحارث ابن عقمة بن كلدة ــ وهو من زعمائهم ــ فكان مما قاله : " يامعشر قريش : انه والله قد نزل بكم أمر ، ما أتيتم له بحيلة بعد ، قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ، أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثا ، وأعظمكم أمانة " حتى اذا رأيتم فى صدغيه الشيب ، وجاءكم بما جاءكم به ، قلتم ساحر ، والله ماهو بساحر(٢) " الحديث " .

ولا أدل على تأصل الامانة فى خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم من حرصه على أدائها ، حتى مع أعدائه ومدبرى قتله : ليله هجرته . يقول ابن اسحاق . " ولم يعلم أحد ــ فيما بلغنى ــ بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا حين خرج الا على ابن أبى طالب وأبو بكر الصديق وآل أبى بكر ، أما على ، فان الرسول عليه الصلاة والسلام أخبره بخروجه وأمره أن يتخلف بعده بمكه حتى يؤدى عن رسول الله الودائع التى كانت عنده للناس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس بمكة أحد عنده شىء ويخشى عليه الا وضعه عنده ، لما يعلم من صدقه وأمانته(٣) .

فمع ما كان منهم من عداوة وبغضاء ، وايذاء وتآمر على قتله واخراج له من بلده لم يخن أمانتهم عنده ، فهل هناك درجة أعلى فى الامانة وتأصلها من تلك الدرجة .

٣ــ حلمه صلى الله عليه وسلم :

الحلم صفة نفسية يقدر بها الانسان على حبس النفس والتحكم فيها عند الغضب ، ولا يكتسبها الا أصحاب الارادة القوية ، فان الانسان بطبيعته اذا ما ارتكب ضده عمل ضار به ، أوسع قولا يبعث على الغضب ثارت عواطفه ، وتوترت ، نفسه فاندفع لينتقم من نفسه ، وهنا تجىء صفة الحلم لتحول دون هذه النزعات الشيطانية . وعلى ذلك

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ١/٢٠٠
(٢) سيرة ابن هشام ١/١٩٤ ــ ١٩٥ .
(٣) سيرة ابن هشام ٢/١٧٥ .

جاءت آيات القرآن الكريم لتؤكد هذا المعنى ، وتبين أن مقابلة السيئة بالحسنة من أعظم الوسائل التى تجمع بين قلوب الناس وتوطد العلاقة بينهم .

قال تعالى : (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم . وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم . واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله أنه هو السميع العليم) (١) .

ولقد بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم فى صفة الحلم غاية الكمال ، وضرب أروع الامثلة فى الوقار والتثبت وعدم التسرع بمقابلة الاساءة بمثلها . ففى الاثار الصحيحة أنه حينما نزل قول الله تعالى : (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) (٢) " سأل صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام عن معنى ذلك فقال له جبريل : حتى أسأل العليم ــ أى الله سبحانه وتعالى ــ ثم ذهب وأتاه فقال له : يامحمد ان الله يأمرك أن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتعفو عن ظلمك " (٣) .

والاثار الصحيحة فى حلمه صلى الله عليه وسلم مستفيضة ومشهور . ومن بينها :

١ــ عن عائشة رضى الله عنها قالت : " لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا فى الاسواق ، ولايجزى بالسيئة مثلها . ولكن يعفو ويصفح " .

واذا كان هذا قول عائشة وأخبارها عن حلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاننا لنجد كلامها هذا واقعا فعليا فى سلوك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه بل ومع أعدائه أيضا .

٢ــ فعن أنس رضى الله عنه قال : كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية . فأدركه أعرابى فجبذه جبذة حتى رأيت صفح أو صفحة ــ عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته فقال : يامحمد . أعطنى من مال الله الذى عندك ، فالتفت اليه فضحك ثم أمر له بعطاء (٤)

وهذه صورة أخرى ربما كانت أقسى من الاولى ، ومع ذلك فقد كان حلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها أوسع وصفحه واحسانه أكبر .

٣ــ فهذا أبو هريرة رضى الله عنه يقول : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ثم قام فقمنا ، فنظرت الى أعرابى قد أدركه فجبذه بردائه فحمر رقبته وكان رداؤه ــ صلى

---

(١) فصلت ٣٤ ــ ٣٦ .
(٢) الاعراف ١٩٩ .
(٣) تفسير القرطبى ٣٤٥/٧ .
(٤) الفتح الربانى ١٩/٢٢ .

الله عليه وسلم ـ خشنا فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم فقال له الاعرابى : أحمل لى على بعيرى هذين فانك لاتحمل من مالك ولا من مال أبيك فقال النبى صلى الله عليه وسلم " لا وأستغفر الله ، لا واستغفر الله ، لا وأستغفر الله، لا أحمل لك حتى تقيدنى (١) من جبذتك التى جبذتنى" فكل ذلك يقول له الاعرابى : والله لا أقيدكها، فلما سمعنا قول الاعرابى أقبلنا اليه سراعا فالتفت الينا النبى صلى الله عليه وسلم فقال : عزمت على مين سمع كلامى ألا يبرح مكانه حتى آذن له " ثم دعا رجلا فقال له " احمل له على بعيريه هذين ، على بعير شعيرا ، وعلى الاخر تمرا" ثم التفت الينا ثم قال : " انصرفوا على بركة الله" (٢)

٤ـ وروى عن عبد الله رضى الله عنه قال : قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة كبعض ما كان يقسم فقال رجل من الانصار : والله انها لقسمة ما أريد بها وجه الله، قلت : ألا لاقولن للنبى صلى الله عليه وسلم ، فأتيته وهو فى أصحابه فساررته ، فشق عليه وتغير وجهه وغضب حتى أنى وددت أنى لم أكن أخبرته ثم قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ " أوذى موسى بأكثر من ذلك فصبر" (٣) .

٥ـ وهذا بهز بن حكيم رضى الله عنه يخبرنا أن النبى كان يخطب وبين الناس حيده جد بهز ، فجاء رجل من قومه فقال . يامحمد ، علام تحبس جيرتى ـ وكان النبى صلى الله عليه وسلم حبسهم فى تهمة فصمت النبى صلى الله عليه وسلم عنه ، فقال . أن ناسا ليقولون أنك تنهى عن الشر وتستخلى به (٤) فقال النبى صلى الله عليه وسلم "مايقول؟" قال . ـ جد بهز ـ فجعلت أعرض بينهما بالكلام مخافة أن يسمعها فيدعو على قومى دعوة لا يفلحون بعدها أبدا ، فلم يزل النبى صلى الله عليه وسلم حتى فهمها، فقال قد قالوها؟ " أو قائلها منهم ؟ . والله لو فعلت لكان على وما كان عليهم ، خلوا له عند أصحابه فهذا الرجل من قوم حيدة جد بهز بن حكيم يسمع رجل من قومه يتطاول على مقام الرسول صلى الله عليه وسلم فيخشى أن يسمع الرسول صلى الله عليه وسلم ما قاله الرجل فيغضب ويدعو على قومه فوقف حيدة يحاول أن يصرف الرسول عن التحقق مما نسب هذا السفيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يلبث أن عرف حقيقة ماقال الرجل ، وتألم لذلك ألما شديدا وكان يمكنه أن يأمر أحد أصحابه بمعاقبة هذا المتجنى ويحاسبه على تطاوله على الرسول صلى الله عليه وسلم بالباطل ، ولكن هذا الاذى وصفح عن مرتكبه بل وأحسن اليه فأمر بأن يخلى سبيل أصحابه المحبوسين بتهمة اتهموا بها (٥) .

ولا أدل على تمكين هذه الصفة من نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصالتها فى خلقه من أنها عمت الجميع حتى شملت أعداءه فكانت سبب اسلام الكثير منهم .

(١) تقيدنى . أى تمكننى من أن أقتص منك بمثلها .
(٢) رواه الشيخان وأبو داود ـ التاج (٥ ـ ٦٥) .
(٣) رياض الصالحين (ص ٣٨ ، ٣٩) .
(٤) تستخلى به . تنهى عن الشر وتنفرد به .
(٥) الفتح الربانى ١٦ ـ ١٢٤ .

٤ـ شجاعته صلى الله عليه وسلم :

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم بالمكان الذى لا يجهله أحد فى شجاعته . فقد حضر المواقف الصعبة ، وفر الحماه والابطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ، ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح ، وما من شجاع الا وقد أحصيت له فرة وحفظت عنه جولة ، سواه صلى الله عليه وسلم .

١ـ عن أبى اسحاق الهمدانى الكوفى ـ تابعى جليل ـ أنه سمع البراء بن عازب سأله رجل : أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ، ثم قال : رأيته على بغلته البيضاء وأبو سفيان آخذ بلجامها والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : " أنا النبى لا كذب . أنا ابن عبد المطلب" قيل . فما رئى أحد يومئذ أشد منه .

٢ـ وذكر مسلم عن العباس رضى الله عنه قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين ، فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته وأنا آخذ بلجامها أكفها ارادة ألا تسرع وأبو سفيان آخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين يامعشر المهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة . يامعشر الانصار الذين آووا ونصروا ، ان محمدا حى فهلموا وكرر العباس النداء حتى تجاوبت فى كل جنبات الوادى أصداؤه (١) .

٣ـ قال ابن عمرو رضى الله عنهما ـ ما رأيت اشجع ولا أنجد من رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) .

٤ـ وقال على كرم الله وجهه " وانا كنا اذا حمى البأس ، واحمرت الحدق اتقينا برسول الله فما يكون أحد أقرب الى العدو منه وقيل كان الشجاع هو الذى يقترب منه صلى الله عليه وسلم اذا دنا العدو لقربه (٣) .

٥ ـ ذهبت قريش الى أبى طالب فقالوا له يا أبا طالب ، أن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا ، وأنا قد استنهيناك عن ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو تنازله واياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين أو كما قالوا ، ثم انصرفوا عنه ، فعظم على أبى طالب فراق قومه وعداوتهم ، ولم يطب نفسا باسلام (٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم "لهم" ولاخذلانه

---

(١) حياه محمد . لهيكل ص ٤٧٠ .
(٢) رواه الدرارمى ـ شرح الشفا (١ ـ ٢٥٧) .
(٣) رواه أحمد والنسائى ـ شرح الشفا (١ ـ ٢٥٨) .
(٤) تسلمه لقريش والتخلى عن مناصرته .

قال ابن اسحاق ، حين قالت قريش لابى طالب هذه المقالة ، بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ، يا ابن آخى ، ان قومك قد جاؤنى ، فقالوا لى كذا وكذا للذى كانوا قالوا له ، فأبق على وعلى نفسك ولا تحملنى من الامر مالا أطيق .

قال " فظن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعمه فيه بداء رأى جديد وأنه خاذله ومسلمه وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه قال فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعمى ، والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الامر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ، ماتركته "(١) .

٥ـ حياؤه صلى الله عليه وسلم :

الحياء صفة تبعث على فعل الجميل وترك القبيح .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الناس حياء ، وأكثرهم عن العورات اغضاء .

ولقد وصف القرآن ذلك الخلق فيه ، فقال تعالى (ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم) .

١ـ فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء فى خدرها ، وكان اذا كره شيئا عرفناه فى وجهه ، وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة(٢) ، رقيق الظاهر ، لايشافه أحدا بما يكره حياء وكرم نفس .

٢ـ وعن عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ، ولكن يقول : ما بال أقوام يصنعون أو يقولون كذا ، ينهى عنه ولايسمى فاعله(٣) .

٣ـ وروى عن أنس رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم دخل عليه رجل به أثر صفرة لم يقل شيئا ، وكان لا يوجه أحدا بما يكره ، فلما خرج ـ الرجل ـ قال : النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه" : لو قلتم له يغسل هذا . يعنى أسنانه لكان حسنا "(٤) .

٤ـ وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه : " صلى الله عليه وسلم " كان من حيائه لا يثبت بصره فى وجه أحد ، وأنه كان يكنى عما اضطره الكلام بما يكره(٥) بصيغه

---

(١) سيرة ابن هشام (١ ـ ١٧١ ـ ١٧٢) .
(٢) رقيق الجلدة العليا . اى يتغير لادنى شئ يكرهه .
(٣) رواه أبو داود ـ شرح الشفا : ١/٢٦٣ .
(٤) رواه أبو داود ـ المصدر السابق .
(٥) شرح الشفا حـ ١ / ٢٦٤ .

المبنى للمجهول كما ضبطه الحلبى مما لا يستحسن التصريح به تخلقا بأخلاق ربه ، واقتداء بأدبه فى نحو قوله تعالى (أو جاء أحد منكم من الغائط أو لا مستم النساء) (١) .

ه- ومن حديثه صلى الله عليه وسلم : اذا لم تستح فاصنع ماشئت " .

وقال الشاعـــر :

اذا لم تخش عاقبة الليالـــى	ولم تستح فاصنع ماتشــــاء
فلا واللـه مافى العيش خيـــر	ولا الدنيا اذا ذهـب الحيـاء

٦- تواضعه صلى الله عليه وسلم :

اذا كان التواضع فى الصفات الحميدة ، التى تدل على علو الهمة ، وأصالة النفس ، فان الرسول صلى الله عليه وسلم كان فى المرتبة الاولى فى ذلك كله .

١- روى احمد والبيهقى أنه صلى الله عليه وسلم خير بين أن يكون نبيا ملكا ، أو نبيا عبدا ، فاختار أن يكون نبيا عبدا ، فقال له اسرافيل عند ذلك : فان الله قد أعطاك بما تواضعت له ، أنك سيد ولد آدم يوم القيامة أول من تنشق الارض عنه ـ للبعث ـ وأول شافع ـ (٢) .

٢- ومع ما أتاه من التقدم والامامة والفضل على الانبياء فقد كان يكره أن يفضله أحد على أنبياء الله أو أن يناديه أحد بلفظ التفضيل عليهم .

فهذا رجل من المسلمين يناديه فيقول : ياخير البرية ، فرد عليه الرسول متواضعا بقوله " ذاك ابراهيم " (٣) .

وورد أنه استب مسلم ويهودى فقال اليهودى ، والذى اصطفى موسى على العالمين فلطمه المسلم ـ فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " لا تفضلوا بين الانبياء ، ولا تخيرونى على موسى ـ الحديث ـ (٤) .

٣- واذا كان هذا حاله صلى الله عليه وسلم فى تواضعه لربه ، وتواضعه مع اخوانه الانبياء فلقد كان كذلك عليه السلام مع أصحابه .

---

(١) النساء ٢٣ والمائدة ٦ .
(٢) شرح الشفا (٢٨٨/١) .
(٣) رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى (ص ٢٩٢ شرح الشفا) .
(٤) رواه الشيخان وأبو داود والنسائى فى شرح الشفا ص ٢٩١ ، ٢٩٢ .

فعن عمر رضىالله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لاتطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم عليه السلام ، فانما أنا عبد الله ورسوله " (١).

٤- ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم مع أصحابه أنه كان يكره أن يتميز عليهم فى المجلس أو فى السير .

فعن أبى أمامة رضى الله عنه قال : " مر النبى صلى الله عليه وسلم فى يوم شديد الحر نحو بقيع الغرقد قال : فكان الناس يمشون خلفه ، فلما سمع صوت النعال وقر ذلك فى نفسه فجلس حتى قدمهم أمامة لئلا يقع فى نفسه من الكبر (٢).

وعن أبى أمامة الباهلى رضىالله عنه قال : " خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا ـ متحملا ومعتمدا ـ على عصا ، فقمنا له تعظيما وتكريما ـ فقال : لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضا ، وقال : انما أنا عبد آكل لما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد (٣).

ودخل عليه رجل فأصابته رعدة فقال له : " هون عليك فانى لست بملك ، انما انا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد (٤).

٥ - ومن صور تواضعه صلى الله عليه وسلم تواضعه فى بيته ومع أهله فقد سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها : ما كان يصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته قالت : كما يصنع أحدكم يخصف (٥) نعله (٦).

ومن حديث آخر قالت : ويحلب شاته ويخدم نفسه ويكون فى حاجة أهله ـ أى يساعدهم .

٦- واذا كان هذا شأنه صلى الله عليه وسلم مع أهله ، فلقد كان كذلك متواضعا خدمه ومع الفقراء والمساكين وحتى الاماء .

فلقد كان يزور أصحابه ويخالطهم أى يمازحهم ويلاعب صغارهم وكان صلى الله عليه وسلم يقول لاخى أنس : يا أبا عمير ، ما فعل النغير (٧)

---

(١) الفتح الربانى ٢٢/٢١ .
(٢) الفتح الربانى ٢٢/٢١ .
(٣) رواه أبو داود فى السنن بشرح الشفا (١/٢٨٨ ـ ٢٨٩) .
(٤) اللحم المجفف .
(٥) يخصف نعله : أى يحرز ويخيطه .
(٦) الفتح الربانى ٢٢/٢٢ .
(٧) الفتح الربانى ٢٢/١٨ .

٧ــ وكان من كمال تواضعه صلى الله عليه وسلم يركب الحمار مع قدرته على ركوب الفرس والبغل والناقة ، ويركب وحده كما كان لا يتكبر أن يركب خلفه أحد كما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه من قوله : ويردف خلفه • أى يركب وراء ظهره على الناقة وغيرها ، ويعول المساكين ــ من المرضى ويجالس الفقراء ــ بل ويفضل مجالسهم على غيرهم ، ويجيب دعوة العبد استجابة لقوله تعالى " واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين " (١) ويجلس بين أصحابه مختلطا " فلا يتحيز مجلسا يترفع عليهم بــل يجلس حيث انتهى به المجلس " (٢) .

٧ــ جوده وسخاؤه صلى الله عليه وسلم :

ان الجود والسخاء من أعظم الصفات التى تميز بها العرب ، فى عصورهم المختلفة •

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الاعلى فى كرمه ، ولا يتطاول اليه فى جوده وسخائه •• وصفة بذلك كل من عرفه •

١ــ عن ابن عباس رضى الله عنهما " كان النبى صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير ، وأجود ماكان فى شهر رمضان ، وكان اذا لقيه جبريل عليه السلام أجود بالخير من الريح المرسلة ، ولقد كانت هذه حالة النبى صلى الله عليه وسلم حتى قبل البعثة • فهذه السيدة خديجة رضى الله عنها تقول له عند البعثة : " ووالله لايخزيك الله أبدا • انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل (٣) وتكسب المعدوم ــ أى تعطى الفقير ــ وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق (٤) •

٢ــ ولقد بلغ من جود رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يرد سائلا بدون عطاء حتى ولو لم يكن عنده شىء فانه يقترض له ويعطيه أو يطلب من السائل أن يبتاع مايريد من تجار المدينة على أن يدفع الرسول صلى الله عليه وسلم ثمن مايشترى •

فلقد جاء رجل اليه صلى الله عليه وسلم فسأله فقال : " ماعندى شىء ولكن ابتع على ، فاذا جاءنا شىء قضيناه ، فقال له عمر رضى الله عنه ــ ما كلفك الله مالا تقدر عليه فكره النبى صلى الله عليه وسلم ذلك : فقال له رجل من الانصار : يارسول الله أنفق ولا تخش من ذى العرش اقلالا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف البشر فى وجهه وقال : " بهذا أمرت " (٥).

فجوده صلى الله عليه وسلم ، وسخاؤه لايحده الوصف ، ولا توفى به عبارة •

---

(١) الشعراء ٢١٥ • (٢) شرح الشفا ٢٨٩/١ •
(٣) الكل ، بفتح الكاف وتشديد اللام • الضعيف •
(٤) حياة محمد ص ١٣٤ •
(٥) ذكره الترمذى فى الشمائل ــ شرح الشفا ٢٥٢/١ ــ ٢٥٣ •

أخلاقه صلى الله عليه وسلم مع أصحابه

من أخـــلاقه مـع أصحابـــه

١ـ مقابلـة الاساءة بالاحســـــان :

١ـ عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أعدل فان هذه قسمة ما أريد بها وجه الله !! فقال صلى الله عليه وسلم " ويحك .. فمن يعدل اذا لم أعدل ، خبت وخسرت ان لم أعدل ، ونهى من أراد قتلـه " (١) .

قال القاضى عياض لم يرد صلى الله عليه وسلم فى جوابه : أن يبين له ماجهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال له .

٢ـ عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه أعرابى بردائه جبذة شديدة (جبذ وجذب بمعنى واحد) حتى أثرت حاشية البرد فى صفحة عاتقه ، ثم قال : يامحمد ، أحمل لى على بعيرى هذين من مال الله الذى عندك فانك لاتحمل لى من مالك ولا مال أبيك !! فسكت النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : " المال مال الله وأنا عبده ... !! . ثم قال : ويقاد منك يا أعرابى ما فعلت بى !! قال : لا ، قال لم : قال لانك لا تكافئ بالسيئة السيئة ، فضحك النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم أمر أن يحمل له على بعير تمر والاخر شعير (٢) .

٣ـ عن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال : ماسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شئ فقال لا (٣) .

٤ـ عن ابن شهاب ـ رضى الله عنه ـ قال : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر خيلنا قال : فأعطى الرسول صفوان ابن أمية بن خلف : مائة من النعم ثم مائة ثم مائة فقال صفوان : والله لقد أعطانى ما أعطانى ، وانه لابغض الخلق الى ، فما زال يعطينى حتى انه لاحب الخلق الى (٤) .

٥ - وعن أنس ـ رضى الله عنه قال :
كان صلى الله عليه وسلم يقول لاحدنا عند المعاينة ، ماله ترب جبينه (٥) .

---

(١) رواه البخارى ومسلم " (الشفا ص ٨٢) .
(٢) رواه البخارى ومسلم (الشفا : جـ١ ص ٨٤) .
(٣) رواه مسلم (الشفا : ص ٨٦) .
(٤) (الشفا : جـ٧ ص ٩٩) .
(٥) (الفتح الربانى : جـ٢٢ ص ٢٠) .

٦ـ جاء أعرابى الىالنبى صلى الله عليه وسلم يطلب منه شيئا ، فأعطاه ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : أحسنت اليك ؟ قال الاعرابى : لا .. ولا أجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه !! فأشار الرسول عليهم أن كفوا ، ثم قام ودخل منزله وأرسل اليه وزاده شيئا ، ثم قال : أحسنت اليك ؟ قال ، نعم ، فجزاك الله خيرا من أهل وعشيرة خيرا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : انك قلت ما قلت ، وفى نفس أصحابى من ذلك شئ فان أحببت : فقل بين أيديهم ما قلت بين يدى حتى يذهب ما فى صدورهم عليك ، قال : نعم ، فلما كان الغد أو العشى جاء ، فقال : صلى الله عليه وسلم : ان هذا الاعرابى قال ما قال ، فزدناه ، فزعم أنه راضى ، أكذلك ؟؟ قال نعم .. فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا ، فقال ، صلى الله عليه وسلم : "مثلى ومثل هذا : كمثل رجل له ناقه شردت عليه ، فأتبعها الناس ، فلم يزيدوها الا نفورا ، فناداهم صاحبها : خلوا بينى وبين ناقتى ، فانى أرفق بها منكم وأعلم ، فتوجه لها بين يديها ، فأخذ لها قمام الارض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها !! وانى لو تركتكم حيث قال الرجلما قال فقتلتموه . دخل النار (١).

٢ـ الوفاء بالوعـــــــد :

١ـ عن عبد الله بن أبى الحسماء ـ رضى الله عنه ـ قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وبقيت له بقية ، فوعدته أن آتيه بها فى مكانه ، فنسيت فذكرت بعد ثلاث ، فاذا هو فى مكانه ، فقال صلى الله عليه وسلم لقد شققت على ، أنا هنا منذ ثلاث أنتظرك (٢).

٢ـ وعن سهل بن سعد ـ رضى الله عنه ـ أن أمرأة جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببردة منسوجه فقالت ! نسجتها بيدى لاكسوكها ، فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم محتاجا اليها ، فخرج الينا وانها ازاره ، فقال فلان : أكسنيهاما أحسنها ! قال نعم : فجلس النبى صلى الله عليه وسلم فى المجلس ، ثم رجع فطوها فأرسل بها اليه ، فقال له القوم (للرجل) ! .

ما أحسنت ، لبسها النبى صلى الله عليه وسلم محتاجا اليها ،ثم سألته ، وعلمت أنه لا يرد سائلا فقال : انى والله ما سألته لالبسها وانما سألته لتكون كفنى قال سهل (رواه الحديث) فكانت كفنه (٣) .

---

(١) رواه البزار وأبو الشيخ بسند ضعيف (الشفا ص ٩٦ ، ٩٧) .
(٢) رواه أبو داود. (المرجع السابق) .
(٣) رواه البخارى (رياض الصالحين : ص ٢٥٧) .

يقبل الهدية ولو كانت من مشرك

٣ـ عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثبت عليها (١).

٤ـ وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أهدى الى كراع لقبلت ولو دعيت الى كراع لاجبت (٢).

٥ـ وعن على ـ رضى الله عنه ـ قال : أهدى كسرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل منه واهدت له الملوك فقبل منها (٣).

٦ـ وعن بلال بن رباح قال : انطلقت حتى آتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واذا اربع ركائب مناخات عليهن احمالهن ، فاستأذنت فقال لى : أبشر فقد جاءك الله بقضائك ، قال : الم تر الركائب المناخات الاربع ؟ ، فقلت بلى ، فقال : ان لك رقابهن وما عليهن ، فان عليهن كسوة وطعاما أهداهن الى عظيم فدك (بفتح الفاء والدال) فاقبضهن فاقضى دينك ففعلت (٤)

٣ـ مودته لاصحابه وسؤاله عنهم :

١ـ عن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغداة ، أقبل عليهم بوجهه فقال : هل فيكم مريض أعوده ؟ فان قالوا لا ، قال : هل فيكم جنازة أتبعها ؟ فان قالوا لا ، قال : من رآى منكم رؤيا فليقصها علينا (٥)

٢ـ وعن أنس رضى الله عنه قال : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فقد الراجل من اخوانه ثلاثة ايام : سأل عنه ، فان كان غائبا دعا له ، وان كان شاهدا زاره، وان كان مريضا عادة" (٦).

٣ـ وعن مالك بن الحويرث رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيما رفيقا فاقمنا عنده عشرين ليلة ، فظن انا قد اشتقنا أهلنا ، فسألنا عمن تركنا من أهلنا فاخذناه فقال : ارجعوا الى أهليكم فاقيموا فيهم (٧).

---

(١) رواه أحمد والبخارى وأبو داود والترمذى (نيل الاوطار : جـ٦ ص٦) .
(٢) ذكره ابن الجوزى فى الوفا (الوفا : جـ٢ ص٤٦٦) .
(٣) رواه احمد والترمذى (نيل الاوطار : جـ٦ ص٣) .
(٤) مختصر لابى داود (المصدر السابق) .
(٥) رواه ابن عساكر (كنز العمال : جـ٧ ص٣٠) .
(٦) ذكره ابن الجوزى فى الوفا : (الوفا : جـ٢ ص٤٣٣) .
(٧) (المصدر السابق) .

٤- يمازح أصحابه ويداعبهم :

١- عن أنس رضى الله عنه أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أحملنى فقال : انا حاملوك على ولد الناقة ، قال : وما أصنع بولد الناقة ؟ قال : وهل تلد الابل الا النوق (١) .

٢- وعن زيد بن أسلم رضى الله عنه قال : كان الرجل يهدى الى النبى صلى الله عليه وسلم العكة من السمن والعسل ، وكان لا يدخل الى المدينة طرفة (شيئا طريفا) الا اشترى منها ، ثم جاء فقال يارسول الله : هذا هدية لك ، فاذا جاء صاحبه يطلب ثمنه ، جاء فقال : يارسول الله ، أعط هذا الثمن ، فيقول صلى الله عليه وسلم ألم تهده الى ؟؟ فيقول : ليس عندى ، فيضحك رسول الله ويأمر لصاحبه بثمنه (٢) .

٣- عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : أن رجلا سأله : أكان رسول الله يمزح ؟ قال نعم : نعم ما كان مزاحه ؟ قال ابن عباس ، كسا النبى صلى الله عليه وسلم بعض نسائه ثوبا واسعا قال ، البسيه واحمدى الله ، وجرى من ذيلك هذا كذيل العروس (٣) .

٤- وعن عبد الحميد بن صيفى عن أبيه عن جده قال : ان صهيبا قدم على النبى صلى الله عليه وسلم ، وبين يديه تمر وخبز فقال : ادن فكل قال : فأخذ يأكل من التمر ، فقال النبى : ان بعينك رمدا فقال : يارسول الله انما آكل من الناحية الاخرى ، فيبتسم النبى صلى الله عليه وسلم (٤) .

٥- وعن أنس ـ رضى الله عنه : أن رجلا من البادية يقال له " زاهر " أو " زهير " وكان يهدى النبى صلى الله عليه وسلم الهدية من البادية ، فيجهزه رسول الله اذا أراد أن يخرج ، فقال صلى الله عليه وسلم : " زهير باديتنا ونحن حاضرته " وكان الرسول يحبه ، مشى يوما الى السوق ، فوجد زهيرا يبيع متاعه ، فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره ، فقال : أرسلنى ، من هذا من هذا ؟ فلما عرف أنه النبى صلى الله عليه وسلم جعل لا يألوا ما ألصق ظهره بصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عرفه ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من يشترى العبد ، فقال زهير : يارسول الله ، اذن تجدنى كاسدا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم .
لكن عند الله لست بكاسد ، أو قال " لكن الله غال " (٥) .

---

(١) رواه الترمذى وأبو داود (المواهب : جـ ١ ص ٢٩٧) .
(٢) رواه أبو يعلى (المرجع السابق) .
(٣) رواه الحاكم والطبراى وضعفه (كنز العمال : جـ ٧ ص ١٣٨) .
(٤) رواه الامام أحمد (الفتح الربانى جـ ١٩ ص ٢٧ ، جـ ١٢ ص ٣٨) .
(٥) (ذكره ابن الجوزى فى الوفا ، جـ ٢ ص ٤٤٤ ، المواهب اللدنية : جـ ١ ص ٧٩٧) .

٦- وعنه - رضى الله عنه - قال : ان عجوز دخلت على رسول الله صلىالله عليه وسلم ، فسألته عن شئ فقال لها ومازحها : " انه لا يدخل الجنة عجوز " . وحضرت الصلاة ، فخرج النبى الىالصلاة فبكت بكاء شديدا حتى رحل النبى صلى الله عليه وسلم ، فقالت عائشة : يارسول الله ، ان هذه المرأة تبكى لما قلت لها : انه لايدخل الجنة عجوز ... فضحك وقال : انا أنشأناهن انشاء ، فجعلناهن أبكارا ، عربا أترابا " وهن العجائز الرمص (١) .

٥- مشاركته لاصحابه فى أعـداد الطعـام :

١- وذكر المحب الطبرى فى مختصر السيرة أن الرسول صلى الله عيه وسلم كان فى سفر ، وأمر أصحابه باصلاح شاة فقال رجل يارسول الله : على ذبحها ، وقال آخر يارسول الله : على سلخها ، وقال آخر يارسول الله على طبخها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : على جمع الحطب فقالوا يارسول الله نكفيك العمل ، فقال : قد علمت أنكم تكفونى ولكن أكره أن أتميز عليكم ، فان الله يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه (٢)

٦- يقدمهم على نفسه ويشـرب آخرهم :

١- عن أنس - رضى الله عنه - قال : كان رسولالله صلى الله عليه وسلم يسقى أصحابه ، فقالوا يارسول الله ، لو شربت ؟ قال " ساق القوم آخرهم شربا " (٣) .

٢- وعن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخلف فى المسير فيزجى الضعيف ويردف ويدعو لهم (٤) .

٣- وعن أنس - رضى الله عنه - قال : كان صلى الله عليه وسلم رحيما وكان لا يأتيه أحد الا وعده وأنجز له ان كان عنده (٥) .

٤- وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : والله الذى لا اله الا هو ان كنت لاعتمد بكبدى على الارض من الجوع ، وان كنت لاشد الحجر على بطنى من الجوع . ولقد قعدت يوما على طريقهم الذى يخرجون منه ، فمر بى النبى صلى الله عليه وسلم فتبسم حين رآنى ، وعرف ما فى وجهى وما فى نفسى ، ثم قال : " أبا هر " قلت لبيك يارسول الله .

---

(١) (الرمص : اللواتى ضعف بصرهن) (المرجع السابق ص ٤٤٥) .
(٢) (المواهب اللدنية : جـ ١ ص ٢٦٤) .
(٣) (رواه ابن الجوزى فى الوفا جـ ٢ ص ٦١٩) .
(٤) رواه أبو داود والحاكم : (كنز العمال : جـ ٧ ص ٣٠)
(٥) رواه البخارى وأبو داود .

قال : "الحق" ومضى فاتبعته ، فدخل فأستأذن فأذن لى ، فدخل فوجد لبنا فى قدح ، فقال : " من أين هذا اللبن " ، قالوا : أهداه لك فلان أو فلانه ـ قال " أبا هر" قلت لبيك يارسول الله ، قال : " الحق الى أهل الصفة (١) فادعهم لى " قال : وأهل الصفة أضياف الاسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد ، وكان اذا أتته صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول منها شيئا ، واذا أتته هدية أرسل اليهم وأصاب منها وأشركهم فيها ، فساء فى ذلك ، فقلت : وما هذا اللبن فى أهل الصفة كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها فاذا جاءوا أمرنى فكنت أنا أعطيهم ز وما عسى أن يبلغنى من هذا اللبن؟ ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بر ، فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا واستأذنوا ، فأذن لهم ، وأخذوا مجالسهم من البيت ، قال : " يا أبا هر " ، قلت لبيك يارسول الله قال : " خذ فأعطيهم " فأخذت القدح ، فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ، ثم يرد على القدح فأعطية الاخر فيشرب حتى يروى ، ثم يرد على القدح ، حتى انتهيت الى النبى صلى الله عليه وسلم وقد روى القوم كلهم فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر الى فتبسم ، فقال : "أبا هر " ، قلت : لبيك يارسول الله قال : "بقيت أنا وأنت" قلت : صدقت يارسول الله ، قال : " أقعد فأشرب " فقعدت فشربت ، فقال : ، "اشرب" فشربت ، فما زال يقول : " اشرب " حتى قلت : لا والذى بعثك بالحق لا أجد له مسلكا .

قال : "فأرنى" فأعطيته القدح فحمد الله تعالى وسمى وشرب الفضلة "(٢) .

٧ـ حسـن الموعظـة :

١ـ وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان صلى‌الله عيه وسلم اذا بلغه عن الرجل شىء لم يقل ما بال فلان يقول ، ولكن يقول : ما بال أقوام يقول كذا وكذا (٣) .

٢ـ وعن معاوية بن الحكم السلمى ـ رضى الله عنه ـ قال : بينما أصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عطس رجل من القوم فقلت يرحمك الله ، فرمانى القوم بأبصارهم فقلت : واثكل أمامه أماه ما شأنكم تنظرون الى إ، فجعلوا يضربون على أفخاذهم ، فلما رأيتهم يصمتوننى ، ولكن سكت (يعنى : أردت أن أكلمهم لكنى سكت) فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت بأبى أنت وأمى يارسول الله ما رأيت معلما قبله ولا بعده احسن تعليما منه ، فو الله ما كهرنى (انتهرنى) ولا ضربنى وشتمنى ـ قال ـ ان هذه

---

(١) الصفة مكان كان منعزلا فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يأوى اليه الفقراء وكانوا منقطعين للعلم والعبادة ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يطعمهم من رزق الله ويبيتون فى هذا المكان .

(٢) رواه البخارى (رياض الصالحين ص ٢٧٩) .

(٣) (رواه أبو داود : كنز العمال جـ ٧ ص ٨٣) .

الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ، انما هى التسبيح والتكبير وقراءة القرآن أو كما قال (١) .

٨ـ يجيب من دعـــــاه :

١ـ عن عبد الله بن بسر ـ رضى الله عنه ـ قال : كان صلى الله عليه وسلم اذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ، ولكن من جانبه الايمن أو الايسر (٢) .

٢ـ وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه قال : " كان صلى الله عليه وسلم يجيب من دعاه ، ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويجيب عليها " (٣) .

٣ـ وكان صلى الله عليه وسلم " اذا كان مع قوم كان آخرهم أكلا " (٤) .

٤ـ وكان صلى الله عليه وسلم اذا أكل عند قوم لم يخرج حتى يدعو لهم ، فدعا فى منزل عبد الله بن بسر فقال : " اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم " (٥) .

٥ـ ودعا عليه الصلاة فى منزل سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فقال : " أفطر عندكم الصائمون " وأكل طعامكم الابرار ، وصلت عليكم الملائكة " (٦) .

٦ـ وسقاه رجل لبنا فقال : "اللهم أمتعه بشبابه " فمرت ثمانون سنة لم ير شعرة بيضاء " (٧) .

٧ـ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : " كان صلى الله عليه وسلم يدعى الى خبز الشعير ، والاهالة السنخة فيجيب " (٨) .

٩ـ رحمته بالصغار وعطفه عليهم :

١ـ كان صلى الله عليه وسلم يداعب صبيان المسلمين ويجلسهم فى حجره) (٩) .

---

(١) أخرجه احمد ومسلم وغيرهما . (الدين الخالص : جـ ٤ ص ٤) .
(٢) رواه أحمد وأبو داود (كنز العمال : جـ ٧ ص ٩٥) .
(٣) رواه البخارى (الشفا : ٩٣/١) .
(٤) رواه البيهقى (المواهب اللدنية : ٣٢٣/١) .
(٥) المصدر السابق .
(٦) رواه أبو داود (المواهب اللدنية : ص ٣٢٤) .
(٧) رواه ابن السنى (المواهب اللدنية) .
(٨) رواه ابن ماجه والترمذى . (الشفا . ١٠٢/١) .
(٩) رواه الترمذى وابن ماجه . (الشفا ص ٩٤) .

٢ـ عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : " ما رأيت أحدا أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم "(١) .

٣ـ وعنه رضى الله عنه قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا ، وكان لى أخ يقال له " أبو عمير" وكان له " نغر " يلعب به " النغر : طائر صغير كالعصفور) فمات ، فدخل النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم فرآه حزينا ، فقال : ما شأنه ؟ قالوا : مات نغره فقال : " يا أبا عمير : ما فعل النغير ؟ " (٢)

٤ـ دخلت زينب بنت أم سلمة ربيبة النبى صلى الله عليه وسلم ، وعليه وهو فى مغتسله ، فنضح الماء فى وجهها "(٣) . (يداعبها) .

قال صاحب المواهب اللدنية : القسطلانى : فكان فى ذلك من البركة فى وجهها أنه لم يتغير ، فكان ماء الشباب ثابتا فى وجهها ظاهرا فى رونقها وهى عجوز كبيرة .

٥ ـ وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان صلى الله عليه وسلم يؤتى " بالبناء للمفعول " بالصبيان فيبرك عليهم ويحنكهم ويدعو لهم (٤) .

٦ـ عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما قال : كان صلى الله عليه وسلم اذا قدم من سفر تلقى (بالبناء للمفعول) بالصبيان من أهل بيته ، وأنه قدم من سفر مرة ، فسبق بى اليه ، فحملنى بين يديه ، قال : ثم جئ بأحد ابنى فاطمة اما حسن واما حسين فأردفه خلفه فدخلنا المدينة على دابة(٥) .

٧ـ وعن أنس رضى الله عنه قال : كنت مع الصبيان ـ فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : السلام عليكم ياصبيان(٦) .

٨ـ وعن عبد الله بن الحارق رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف عبد الله وعبيد الله (ابنى عمر) وكثير بن العباس ثم يقول ، من سبق الى فله كذا وكذا ، قال : فيستبقون اليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلتزمهم (يحتضنهم) (٧) .

---

(١) رواه مسلم . (المواهب اللدنية ٢٩٣/١)
(٢) رواه الشيخان . (المواهب اللدنية . ص ٢٩٨)
(٣) رواه البخارى (المواهب اللدنية ص ٧٩٩) .
(٤) رواه الشيخان وأبو داود (كنز العمال ٩٤/٧) .
(٥) رواه أحمد ـ الفتح الربانى (١٩/١٣) .
(٦) رواه الديلمى ـ كنزل العمال (١٣٨/٧) .
(٧) رواه أحمد ـ مجمع الزوائد (١٧/٩) .

١٠- اخلاقه مع الضعاف :

١- عن الحسن بن على رضى الله عنهما أنه : ذكر النبى صلى الله عليه وسلم فقال : لا والله ، ما كان يغلق دونه الابواب ، ويقوم دونه الحجاب ، ولا يغدى عليه بالجفان ، ولا يراح عليه بها ، ولكنه كان بارزا ، من أراد أن يلقى نبى الله لقيه (١) .

٢- وعن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأنف ولا يستكبر أن يمشى مع الارملة والمسكين فيقضى له حاجته (٢) .

٣- وعن أبى قتاده رضىالله عنه : أن النبى صلى اللهعليه وسلم قال : انى لاقوم الى الصلاة ، فأريد أن أطول فيها ، فأسمع بكاء الصبى ، فأتجوز فى صلاتى كراهية أن أشق على أمه (٣).

٤- وعن أنس رضى الله عنه أن أمرأة من الانصار كان فى عقلها شئ ، جاءت الى النبى فقالت : يارسول الله ، ان لى اليك حاجة فقال : يا أم فلان ، اجلسى فى أى طرق المدينة شئت : أجلس اليك حتى اقضى حاجتك ، قال أنس ، فجلست ، فجلس النبى صلى الله عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها (٤) .

٥- عن سهل بن ضيف قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم (٥).

١١- اخلاقه مع الخدم :

١- عن أنس رضى الله عنه قال : خدمت النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين . فما قال لى : أف قط ، وما قال لشئ صنعته ، لم صنعته ، ولا لشئ تركته : لم تركته (٦).

٢- وعنه رضى الله عنه قال : خدمت النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما سبنى سبة قط ، ولا ضربنى ضربة ولا انتهرنى ولا عبس فى وجهى ، ولا أمرنى بأمر فتوانيت فيه فعاتبنى عليه ، فان عاتبنى أحد من أهله قال : دعوة فلو قدر شئ كان (٧) .

---

(١) ذكره ابن الجوزى فى الوفاء (٢/٤٣٦) .
(٢) ذكره ابن الجوزى فى الوفاء ص ٤٣٧ .
(٣) رواه البخاري ـ المصدر السابق ص ٤٢٩ .
(٤) رواه مسلم ـ الشفا (١/١٠٢) .
(٥) رواه أبو يعلى والطبراني ـ كنز العمال (٧/١٠٢).
(٦) رواه الشيخان ـ الشفاء (١/٩٣) .
(٧) ذكره ابن الجوزى فى الوفاء (٢/٤٢٥) .

١٢ـ معاملته صلى الله عليه وسلم للرقيــق :

١ـ عن أنس رضى الله عنه قال : ان كانت الوليدة من ولائد المدينة ، تجئ فتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينزع من يدها حتى تذهب به حيث شاءت (١) .

٢ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : صلى الله عليه وسلم يجلس على الارض ويأكل على الارض ولعقل الشاة ، ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير (٢) .

٣ـ وعن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال : كان صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ، ويلبس الصوف ، ويعتقل الشاة ويأتى مراعاة الضيف (٣) .

---

(١) ذكره ابن الجوزى فى الوفاء (٤٣٧/٢) .
(٢) رواه الطبرانى ــ مجمع الزوائد (٢٠/٩) .
(٣) رواه الطبرانى ــ المصدر السابق .

محمد صلى الله عليه وسلم مع ازواجه

من الواجب علينا ونحن نتكلم عن أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم أن نذكر نماذج من حسن معاشرته صلى الله عليه وسلم لازواجه ، لتكون قدوة يحتذى بها المسلمون فى حياتهم الاسرية ، فان الرسول صلى الله عليه وسلم كان المثل الاعلى فى الحنان والعطف وحسن المعاشرة فهو صلى الله عليه وسلم القائل : " أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا ، وخياركم خياركم لنسائهم " (١) .

وهو القائل : " خيركم خيركم لاهله وأنا خيركم لاهل" (٢)

ومع أنه صلى الله عليه وسلم كان صاحب المنزلة الرفيعة ، والمقام المحمود عند ربه عز وجل ، الا أن ذلك كله لم يحل بينه وبين لين الجانب وحسن المعاشرة مع أزواجه .

قال الاستاذ العقاد : " ولم يجعل صلى الله عليه وسلم من هيبة النبوة سدا رادعا بينه وبين نسائه ، بل آنساهن ، برفقه وايناسه أنهن يخاطبن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض الاحايين ، فكانت منهن من تقول له أمام بيتها : تكلم ولا تقل الا حقا !! ومن تراجعه أو تغاضبه سخابة نهارها ، ومن تبلغ فى الاجتراء عليه مايسمع به رجل كعمر بن الخطاب فى شدته ، فيعجب له ويهم بأن يبطش بابنته حفصة ، لانها تجترئ كما تجترئ الزوجات الاخريات ، واذا رأى النبى غضبا كهذا من جرأة كتلك : كف من غضب الاب وقال له : ما لهذا دعوناك " (٣) .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يتولى خدمة البيت معهن ، مساعدة لهن وتطييبا لنفوسهن ، وليتأسى به المسلمون .

قال الاسود : قلت لعائشة رضى الله عنها : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع فى أهله ؟ قالت :

" كان فى مهنة أهله ـ أى يشاركهن فى عمل البيت ـ فاذا حضرت الصلاة خرج الى الصلاة " .

وهكذا جمع صلى الله عليه وسلم بين حق الله ، وحق الاهل فى بساطة ويسر . وكان صلى الله عليه وسلم هاشا باشا يدخل السرور على أهله ويأذن لهن أن يلعبن بالمباح .

---

(١) رواه الترمذى وغيره .
(٢) رواه ابن حبان .
(٣) الفتح الربانى ٢٢ ـ ١٥٣ .

قالت عائشة رضى الله عنها : كنت ألعب بالبنات ـ أى باللعب التى على صور البنات ، ويجىء صواحبى فيلعبن معى ، فاذا رأين رسول الله صلى الله عليه وسلم انقمعن منه ـ دخلن وراء ستر حياء وهيبة ـ وكان زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلن على فيلعبن معى " (١) متفق عليه .

وقالت أيضا : لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرتى والحبشة يلعبون بحرابهم يسترنى بردائه لكى أنظر الى لعبهم ، ثم يقوم حتى أكون أنا التى أنصرف) (٢) .

وكان لعائشة رضى الله عنها دلال على النبى صلى الله عليه وسلم أكثر من غيرها لصغر سنها ولمكانة أبيها عنده .

وسابقها صلى الله عليه وسلم فى سفر فسبقته ، فلما حصلت من اللحم سابقته فسبقها ، فقال : ياعائشة هذه بتلك (٣) .

واذا كانت هذه بعض أحواله صلى الله عليه.وسلم مع أزواجه فى أحواله العاديه فان احواله صلى الله عليه وسلم معهن فى حالة الغضب لا تخرج عن هذه الروح الطيبة من الرحمن والصفح .

قالت عائشة رضى الله عنها : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذا غضبت وضع يده على منكبى ـ بكسر الكاف ـ وقال اللهم اغفر لها ذنبها ، وأذهب عنها غيظ قلبها وأعذها من الفتن) (٤) .

وقالت : " قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم . " انى لاعلم اذا كنت عنى راضية ، واذا كنت على غضبى ! قالت فقلت من أين تعلم ذلك قال : اذا كنت عنى راضية فانك تقولين . لا ورب محمد ، واذا كنت عنى غاضبة تقولين . لا ورب ابراهيم عليه السلام . قلت . أجل ، والله ما أهجر الا اسمك) (٥) .

وقالت عائشة رضى الله عنها " كان بينى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام فقال . من ترضين أن يكون بينى وبينك ؟ أترضين أبا عبيدة بن الجراح؟ قلت . لا .

---

(١) الفتح الربانى ٢٢ ـ ١٠ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) رواه أبو داود : المواهب اللدنية ٣ ـ ٢٣٢ .
(٤) الوفاء بأحوال المصطفى ٢ ـ ٦٥٢ .
(٥) الفتح الربانى ٢٢ ـ ١٠ .

ذاك رجل لن يقضى لك على . قال . أترضين بعمر؟ قلت . لا . انى أفرق ـ بفتح الهمزة والراء ـ أخاف منه . قال . فالشيطان يفرقه . قال . أترضين بأبى بكر؟ قلت نعم ، فبعث اليه فجاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . اقض بينى وبين هذه . قال ، أنا يارسول الله ؟ قال . نعم ، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت له اقصد (اعدل يارسول الله قالت . فرفع أبو بكر يده فلطم وجهى لطمة بدر منها أنفى ومنخراى دما ـ خرج سريعا ـ وقال : لا أب لك ، فمن يقصد اذا لم يقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أردنا هذا ، وقام فغسل الدم عن وجهى وثوبى بيده (١) .

الرسول يواجه أزمات اقتصادية فى بيته :

ان حدوث الخلافات الاسرية أمر طبيعى ، وعلى الانسان أن يعالج مثل ذلك بالحكمة والرفق ، فان مظاهر الحياة ومتطلباتها المادية لا نهاية لها ، وحب المرأة لهذه المظاهر ـ فى الغالب ـ أكثر من حب الرجل لها ، والمطالب بالانفاق دائما هو الرجل ، فاذا ما طولب الرجل بزيادة الانفاق وكان قادرا فعليه أن يوسع على أهله ما استطاع الى ذلك سبيلا . قال تعالى (لينفق ذو سعة من سعته) .

أما اذا عجز فعليه أن يرد بالحكمة وأن يعتذر بلين ورفق . والرسول صلى الله عليه وسلم ـ الذى جعله الله لنا قدوة ـ يضرب لنا أروع الامثلة فى ذلك ، فانه قد ورد أن أزواجه عليه الصلاة والسلام طلبن زيادة فى النفقة ، ولم يكن يقدر على ذلك فانزل الله عز وجل : (يا أيها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا ، وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما) (٢) .

عن جابر قال : اقبل أبو بكر يستأذن على الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يؤذن له ، ثم أقبل عمر فاستأذن فلم يؤذن له ، ثم أذن لهما فدخلا والنبى صلى الله عليه وسلم جالس وحوله نساؤه وهو ساكت . فقال : عمر : لاكلمن النبى صلى الله عليه وسلم لعله يضحك . فقال عمر يارسول الله لو رأيت ابنة زيد امرأة عمر سألتنى النفقة آنفا فوجأت عنقها ، فضحك النبى صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال هن حولى يسألننى النفقة ، فقام أبو بكر الى عائشة ليضربها وقام عمر الى حفصة كلاهما يقول : تسألان النبى صلى الله عليه وسلم ماليس عنده ؟ فنهاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نساء الرسول والله لا نسأله بعد هذا ماليس عنده أبدا ثم اعتزلهن شهرا أو تسعة وعشرين يوما ثم نزلت الاية وفيها تخيير أمهات المؤمنين ، فبدأ بعائشة فقال انى ذاكر لك أمرا ما أحب أن تعجلى فيه حتى تستأمرى أبويك . قالت ماهو فتلا عليها (يا أيها

---

(١) الوفاء بأحوال المصطفى ، لابن الجوزى ٢ ـ ٢٦٢ .
(٢) الاحزاب (٢٨ ـ ٢٩) .

النبى قل لازواجك ...) الاية فقالت عائشة : أفيك أستأمر أبوى ، بل أختار الله ورسوله والدار الاخرة (١).

وفى رواية البخاري وفعلت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم مثل مافعلت عائشة من اختيار الله ورسوله والدار الاخرة.

وفى رواية أن عائشة قالت لرسول الله : أسألك ألا تذكر لنسائك ما اخترت . فقال لها ان الله تعالى لم يبعثنى متعنتا ولكن بعثنى معلما ميسرا ، لا تسألنى أمرأة منهن عما اخترت الا اخبرتها .

وفى البخر أنه لما نصر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ورد عنه الاحزاب وفتح عليه النضير وقريظة ظن أزواجه عليه الصلاة والسلام أنه اختص بنفائس اليهود وذخائرهم فقعدن حوله وقلن : يارسول الله بنات كسرى ، وقيصر فى الحلى والحلل والاماء والخول ونحن على ما تراه من الفائقة والضيق وآلمن قلبه الشريف عليه الصلاة والسلام بمطالبتهن له بتوسعة الحال وأن يعاملهن بما تعامل به الملوك وأبناء الدنيا أزواجهم فأمره الله تعالى بأن يتلو عليهن ما نزل فى أمرهن (٢) .

ولما اخترن الله ورسوله ، وآثرن نعيم الحياه الاخرة على الدنيا ومتاعها الزائل كافأهن الله عز وجل بمزيد تكريم فى الدنيا ، وذلك بأن حرم على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ التزوج عليهن ، أو أن يتبدل بهن غيرهن ، وفى ذلك يقول المولى جل وعلا : (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك) (٣) .

---

(١) رواه مسلم وأحمد والنسائى .
(٢) روح المعانى (١٨٢/٢١) .
(٣) الأحزاب (٥٢) .

عدله صلى الله عليه وسلم بين أزواجه :

من المعروف أن النبى صلى الله عليه وسلم كان له زوجات كثيرات ، وكان صلى الله عليه وسلم يعدل بينهن فى النفقة ، وفى المبيت ، وفى السفر والاقامة ، وكل مايتصل بهن مما هو فى مقدور البشر ، والذى كلف الله تعالى به ، وجعله شرطا لاباحة التعدد فى قوله تعالى : (... فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ...) (١) .

روى أنه صلى الله عليه وسلم : اذا صلى العصر دار على نسائه فدنا منهن واستقرأ أحوالهن ، فاذا جاء الليل انقلب الى بيت صاحبة الليلة فخصها بالليل (٢) .

وقالت عائشة رضى الله عنها : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا ، أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه . وكان يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها " (٣) .

وكان صلى الله عليه وسلم يعطى كل واحدة نصيبها سواء رضى عنها أو غضب منها ، الا أن تتبرع به لغيرها عن طيب نفس منها) (٤) .

فقد وجد (٥) صلى الله عليه وسلم على صفية رضى الله عنها فى شىء ، فقالت لعائشة : هل لك أن ترضى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وأهب لك يومى ؟ قالت : نعم . فقعدت عائشة الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم صفية . فقال : اليك عنى يا عائشة فانه ليس يومك . فقالت : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ! وأخبرته الخبر فرضى عنها " (٦) .

وعن أنس رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عند بعض نسائه . قال : أظنها عائشة ؟ فأرسلت احدى أمهات المؤمنين مع خادم لها بقطعة فيها طعام . قال . فضربت الاخرى بيد الخادم فكسرت القصعة نصفين . قال . فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : غارت أمكم ! واخذ الكسرتين فضم احداهما الى الاخرى فجعل فيها الطعام ثم قال . كلوا . وحبس الخادم والقصعة حتى فرغوا ، فدفع الى الخادم قصعة أخرى وترك المكسورة مكانها " (٧) .

---

(١) النساء (٣) .
(٢) المواهب ١/١٢٧ .
(٣) الفتح الربانى ٢٢/١٤٨ .
(٤) الفتح الربانى ٢٢/١٤٩ .
(٥) بكسر الجيم . غضب .
(٦) المواهب اللدنية ١/١٣٥ .
(٧) الفتح الربانى ٢٢ ـ ١٤٩ .

وروى الحاكم في المستدرك عن صفية من مسندها ، قالت . " دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي ، فقال . يابنت حيي مايبكيك ؟ قلت . بلغني أن حفصة وعائشة ينالان مني ويقولان نحن خير منها ، نحن بنات رسول الله وأزواجه.. قال . ألا قلت كيف تكونان خيرا مني وأبي هارون وعمي موسى وزوجي محمد عليه الصلاة والسلام (١) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت . رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع فوجدني وأنا أجد صداعا في رأسي وأنا أقول . واراساه . فقال : بل أنا والله ياعائشة واراساه . قالت . ثم قال . وما ضرك لو مت (٢) قبلي فقمت عليك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك ؟ قالت .قلت . والله لكأني بك لو قد فعلت ذلك ، لقد رجعت الى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك . قالت . فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنام به وجعه(٣) وهو في بيت ميمونة فدعا نساءه فاستأذنهن في أن يمرض في بيتي فأذن له" (٤) .

العدل القلبي ليس بمستطاع :

والعدل الذي تقدم انما هو العدل الظاهري ، من النفقة والكسوة وغير ذلك ، وهو الذي في مقدور البشر ، أما العدل القلبي ، كحب الرجل لاحدى زوجاته أكثر من غيرها ، فهذا غير مقدور ، ولم يكلف الله به ، قال تعالى : (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) (٥) .

ولكن يجب على الانسان ألا يجور على المرغوب عنها كل الجور ، وأن يعدل بينهن ما استطاع الى ذلك سبيلا .

ولقد كان صلى الله عليه وسلم يحب بعض زوجاته .. كالسيدة عائشة رضي الله عنها .. أكثر من غيرها ، وكان يتوجه الى الله عز وجل ألا يؤاخذه على ذلك . فيقول : " اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك " وفي رواية . " وأنت أعلم بمالا أملك ، يعني فرط محبته لعائشة رضي الله عنها (٦) .

---

(١) الفتح الرباني ٢٢ — ١٤٢ .
(٢) بضم الميم وكسر التاء المشددة .
(٣) ارداد وجعه .
(٤) سيرة ابن هشام ٤ — ١٥٧ .
(٥) النساء ١٢٩ .
(٦) تفسير أبو السعود ١ — ٧٩٢ .

حسن عشرته لازواجـــــه :

اذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم صاحب الاخلاق العظيمة ، والمعاملات الكريمة مع كافة الناس ، فان حظ زوجاته صلى الله عليه وسلم ، ورضى الله تعالى عنهن كان أوفر وأكثر .

١- فعن عائشة رضى الله عنها قالت . " ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ما دعاه أحد من أصحابه أو أهل بيته الا قال . لبيك " (١) .

٢- وعن أنس رضى الله عنه قال . " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتى بهدية قال . اذهبوا بها الى بيت فلانة ، فانها كانت صديقة لخديجة . أنها كانت تحب خديجة ".

٣- وسئلت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها .. كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلا فى بيته ؟ فقالت . كان ألين الناس ، بساما ضحاكا (٢) .

٤- وعن عائشة رضى الله عنها قالت . دخلت امرأة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهش لها وأحسن السؤال عنها ، فلما خرجت قال : " انها كانت تأتينا أيام خديجة ، وان حسن العهد من الايمان " (٣) .

٥- عن عائشة رضى الله عنها قالت . لم يمتلئ جوف النبى شبعا قط ، وكان فى أهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه ان أطعموه أكل ، وما أطعموه قبل وما سقوه شرب (٤) .

٦- عن عائشة رضى الله عنها قالت . كان صلى الله عليه وسلم فى بيته فى مهنة أهله ، يفلى ثوبه ويحلب شاته ، ويرقع ثوبه ، ويخصف نعله ، ويخدم نفسه ، ويقم البيت ويعقل البعير ، ويعلف ناضحه ، ويأكل مع الخادم ويعجن معها ، ويحمل متاعه فى السوق (٥) .

٧- وكان عليه الصلاة والسلام حسن العشرة مع أزواجه ، قال الامام النووى . وهو ظاهر فعله الذى واظب عليه . مع مواظبته على قيام الليل فينام مع احداهن ، فاذا أراد القيام لوظيفته . قام وتركها ، فيجمع بين وظيفته وأداء حقها المندوب وعشرتها بالمعروف (٦) .

---

(١) الشفا ١ ـ ١٩٣ .
(٢) المواهب اللدنية ١ ـ ٢٩٣ .
(٣) الشفا ١ ـ ٢٢ .
(٤) المواهب اللدنية ١ ـ ٢٠٨ .
(٥) الشفا ١ ـ ١٠٢ .
(٦) الاحياء ١ ـ ٢٩٥ ـ ٢٩٦ .

٨- عن أنس رضى الله عنه قال ٠ كان صلى الله عليه وسلم لا يطرق أهله (١) .

٩- عن أنس رضى الله عنه ٠ أن أم سليم بعثت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقناع عليه رطب ، فجعل يقبض القبضة فيبعث بها الى بعض أزواجه ، ثم جلس فأكل بقية ، أكل رجل يعلم أنه يشتهيه (٢) .

١٠- عن أنس رضى الله عنه قال ٠كان صلى الله عليه وسلم عند بعض نسائه ، فأرسلت احدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام ، فضربت التى كان النبى صلى الله عليه وسلم فى بيتها يد الخادم ، فسقطت الصحفة (انفلقت ، فجمع النبى صلىالله عليه وسلم فلق الصحفة ، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذى كان فى الصحفة وهو يقول ٠ غارت أمكم ، ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند التى هو فى بيتها ، فدفع الصفحة الى التى كسرت صحفتها ، وأمسك المكسورة فى بيت التى كسرت (٣) .

١١- وعن عائشة رضى الله عنها قالت ٠ ما رأيت صانعة طعام مثل صفية ، أهدت الى النبى صلى الله عليه وسلم اناء فيه طعام ، فما ملكت نفسى أن كسرته ، فقلت يارسول الله ما كفارته ؟ قال اناء باناء وطعام بطعام (٤) .

١٢- وكان النبى صلى الله عليه وسلم : يسرب بنات الانصار الى عائشة رضى الله عنها يلعبن معها (٥) .

١٣- وكان صلى الله عليه وسلم : اذا شربت عائشة رضى الله عنها من الاناء : أخذه فوضع فمه على موضع فمها وشرب ، واذا تعرقت عرقا (٦) : أخذه فوضع فمه موضع فمها (٧)

١٤- وعن عائشة رضى الله عنها قالت : جاء حبشة يزفنون يوم عيد فى المسجد فدعانى النبى صلى الله عليه وسلم ، فوضعت رأسى على منكبه : فجعلت أنظر الى لعبهم حتى كنت أنا الذى أنصرف من النظر اليهم ٠

(رواه البخـارى)

وفى رواية الترمذى : قام صلى الله عليه وسلم فاذا حبشة يزفنون (٨) فى المسجد .

---

(١) كنز العمال ٧ - ٦٠ ٠ (٢) مسند الامام أحمد ٢٢ - ١٤٨ ٠
(٣) رواه البخارى فى المواهب اللدنية ١ - ٢٩٦ +٠
(٤) مسند الامام أحمد ١٥/٢٢ ٠ (٥) المواهب اللدنية ١/٢٩٦ ٠
(٦) المواهب اللدنية ١/٢٩٦ ٠
(٧) تعرقت عرقا : بفتح العين وسكون الراء : أكلت لحما من عرق : وهو العظم عليه لحم ٠
(٨) يزفنون : بكسر الفاء ، يرقصون ٠

فقال : ياعائشة : تعالى فانظرى ، فوضعت لحيى (١) على منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم : فجعلت انظر اليها ما بين المنكب الى رأسه ، فقال لى : أما شبعت ... أما شبعت ؟ فجعلت أقول : لا ... لا (٢) .

١٤– وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سابقت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر ، فسبقته على رجلى ، قالت : فلما حملت اللحم ، سابقته فسبقنى ، فقال : هذه بتلك السبقة (٣) .

١٥– وعنها رضى الله عنها قالت : كنت اذا غضبت عرك (٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنفى وقال : " ياعويش ، قولى : اللهم رب محمد ، اغفر لى ذنبى وأذهب غيظ قلبى ، وأجرنى من مضلات الفتن " (٥) .

قال القسطلانى : وهكذا كانت أحواله مع أزواجه ، لا يأخذ عليهن ، ويعذرهن ، وأن أقام عليهن قسطاس عدل أقامه بغير قلق ولا غضب ، بل رءوف رحيم ، حريص عليهن وعلى غيرهن ، عزيز عليه ما يعنتهم (٦) .

وفاؤه صلى الله عليه وسلم لازواجه :

الوفاء صفة من الصفات الحميدة ، التى يتصف بها القليل من الناس ، ذلك أنها قد تؤدى الى تحمل بعض التبعات ، وفاءا بحق الاخوة أو الصحبة ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم فى القمة من الوفاء ، ليس للحاضر فقط ، بل للغائب حتى ولو كان ميتا .

واليك بعض صور لوفاء النبى صلى الله عليه وسلم لزوجه خديجة بعد موتها .
قالت عائشة رضى الله عنها – لما غارت من كثرة ثنائه صلى الله عليه وسلم على خديجة رضى الله عنها : قد رزقك الله خيرا منها . فقال ، " لا والله ما رزقنى خيرا منها . آمنت بى حين كفر بى الناس ، وصدقتنى حين كذبنى الناس ، وأعطتنى مالها حين حرمنى الناس " .

(١) لحيى : اللحى : بفتح اللام المشددة عظم الفم الذى فيه الاسنان .
(٢) المواهب اللدنية ١/٢٩٦ .
(٣) المرجع السابق .
(٤) عرك : بفتحات ذلك أى قرص أنفها بغير عنف .
(٥) كنز العمال ٥٨/٧ .
(٦) المواهب اللدنية ١ – ٢٩٦ .

زاد الطبرانى • " وآوتنى اذا رفضنى الناس ، ورزقت منى الولد اذ حرمتموه " (١)

وفى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها • " وكان صلى الله عليه وسلم اذا ذبح الشاة يقول • أرسلوا الى أصدقاء خديجة • قالت • عائشة فأغضبته يوما فقلت • خديجة؟ فقلت • انى رزقت حبها " (٢) .

وروى الشيخان عن عائشة قالت • " ما غرت على أحد ماغرت على خديجة وما رأيتها ، ولكن كان صلى الله عليه وسلم يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة فيقطعها أعضاء ثم يبعثها فى صدائق خديجة فربما قلت له • كأن لم يكن فى الدنيا الا خديجة فيقول • انها كانت وكانت ، وكان لى منها ولد " (٣) .

ودخلت عليه صلى الله عليه وسلم أم أزفر ماشطة خديجة فاكرمها وقال • " هذه كانت تغشانا فى عهد خديجة ، وأن حسن العهد من الايمان " (٤) .

---

(١) المواهب اللدنيه ٣ — ٢٢٤ •
(٢) المواهب اللدنية ٣ — ٢٢٦ •
(٣) المواهب اللدنيه ٣ — ٢٢٦ •
(٤) الوفاء بأحوال المصطفى ٢ — ٦٤٦ •

محمد صلى الله عليه وسلم مع أولاده

حب النبى صلى الله عليه وسلم لبناته وأولادهن :

لقد بين الله عز وجل الهدف والغاية من بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) وقال صلى الله عليه وسلم عن نفسه . " انما أنا رحمة مهداه" . وهذه الرحمة التى جمعت حوله العدو والصديق ، وشملت أكثر العوالم حتى نالت منها الحيوانات ، نال منها بناته وأولادهن الشئ الكثير ، وأراد الله عز وجل أن لا يعيش له صلى الله عليه وسلم الا البنات لحكم لا يعلمها الا رب السموات والارض واذا كانت العرب تئد البنات خوف العار والفقر فان الرسول صلى الله عليه وسلم قد ضرب المثل الاعلى فى حسن التربية والرعاية لبناته ، حتى يكون قدوة لغيره فى الرحمن بهذا المخلوق الضعيف الذى يحرم من الحياة من غير ذنب كما يقول تبارك وتعالى . (واذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت) .

وهذه بعض معاملته لابنائه صلى الله عليه وسلم .

١ـ حبـــــه لبناتـــــه :

١ـ كانت فاطمة رضى الله عنها أكثر اولاد الرسول صلى الله عليه وسلم مكثا معه فقد مات أولاده غيرها قبل وفاته أما هى فقد بقيت بعد وفاته ستة أشهر لذلك نجد أن حب الرسول صلى الله عليه وسلم ظهر واضحا فى شخصية فاطمة رضى الله عنها حتى قال صلى الله عليه وسلم . "احب أهلى الى فاطمـة" (١) .

وكان صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا يكون آخر عهده بها واذا قدم أول مايدخل عليها .

٢ـ وعن عبد الله بن الزبير رضى الله عنه . أن عليا ذكر ابنة أبا جهل ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة منى ، يوءذينى مايوءذيها وينصبنى ما أنصبها (٢) .

ولم يقتصر حبه صلى الله عليه وسلم لابنائه وهم صغار وانما أظلهم هذا الحب طوال حياتهم . فكان صلى الله عليه وسلم يختار لهن الاكفاء من الرجال ويذهب بنفسه لمشاركتهن أفراحهن .

٣ـ قالت أم أيمن رضى الله عنها " زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة من على بن أبى طالب ، وأمره ألا يدخل على فاطمة حتى يجئ فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف بالباب وسلم ، فاستأذن فأذن له فقال . أثم أخى ؟ فقالت أم أيمن : بأبى أنت وأمى يارسول الله ـ من أخوك ؟ قال . على ابن أبى طالب ، قالت . وكيف يكون أخاك ، وقد زوجته ابنتك ؟ قال : هو ذاك يا أم أيمن " فدعا بماء فى اناء فغسل فيه يديه ، ثم دعا عليا فجلس بين يديه فنضح على صدره من ذلك الماء وبين كتفيه ثم دعا فاطمة فجاءت بغير خمار تتعثر فى ثوبها . ثم نضح عليها من ذلك الماء ثم قال : والله ما آلوت أن زوجتك خير أهلى " (٣) .

---

(١) أخرجه الترمذى وحسنه ـ المواهب اللدنية ٣ ـ ٣٠٤ .
(٢) رواه الامام أحمد ١٢ ـ ٩٧ (٣) الطبقات ٨/٢٤ .

٤- وعن أنس بن مالك رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر اذا خرج لصلاة الفجر يقول ، " الصلاة يا أهل بيت محمد ، انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا "(١) .

٥- وعن عائشة رضى الله عنها قالت : اقبلت فاطمة رضى الله عنها تمشى كأن مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال مرحبا يابنتى ، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ، ثم أسر اليها حديثا فبكت ، فقلت لها : استضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه ثم تبكين ؟ ثم أسر اليها حديثا فضحكت ، فقلت : ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن ، فسألتها عما قال ، فقالت ، ما كنت لافشى سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قبض النبى صلى الله عليه وسلم فقالت ، انه أسر الى فقال ، أن جبريل عليه السلام كان يعارضنى(٢) بالقرآن فى كل عام مرة ، وانه عارضنى به العام مرتين ، ولا أراه الا قد حضر أجلى ، وانك أول أهل بيتى لحوقا بى ، ونعم السلف أنا لك " فبكيت لذلك ، ثم قال " ألا ترضين أن تكونى سيدة نساء هذه الامة أو نساء المؤمنين ؟ قالت ، فضحكت لذلك "(٣) .

ب) حبـــه لاحفـــــــاده :

واذا كان حبه صلى الله عليه وسلم لاولاده طبعا فيه وسجية خلق عليها فحبه لاولاده وبناته من هذا القبيل .

١- قال أبو قتادة : " بينا نحن على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوس اذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل أمامة بنت أبى العاص بن الربيع وهى حبية وأمها زينب بنت رسول الله ، قال فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى على عاتقة يضعها اذا ركع ويعيدها على عاتقة اذا قام حتى قضى صلاته يفعل ذلك بها "(٤) .

٢- وعن على بن زيد بن جدعان : " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أهله ومعه قلادة ، فقال ، لاعطينها أحبكن الى فقلن يدفعها الى ابنة أبى بكر فدعا بابنة أبى العاص من زينب فعقدها بيده وكان على عينيها رمص فمسحه بيده "(٥) .

٣- وقال شداد بن عمرو رضى الله عنه ، دخلت على واثلة بن الاسقع وعنده قوم فذكروا عليا فلما قاموا قال لى ، ألا اخبرك بما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت بلى ! قال أتيت فاطمة رضى الله عنها أسألها عن على قالت ، توجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلست انتظره حتى جاء

(١) اسد الغابة ٥/٥٢٢ . (٢) يعارضنى ، يدارسنى .
(٣) مسند الامام أحمد ٢٣ - ٩٢ - ٩٣ .
(٤) الطبقات (٨/٣٩) .
(٥) الطبقات (٨/٤٨) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه حسن وحسين
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه حسن وحسين رضى الله تعالى عنهما ، أخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فأتى عليا وفاطمة فأجلسهما بين يديه ، وأجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما عن فخذه ثم لف عليهما ثوبه ـ أو قال كساءه ـ ثم تلا هذه الاية : " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ، وقال اللهم أهل بيتى وأهل بيتى أحق (١) .

٤ـ وعن على رضى الله عنه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا نائم على المنامة فاستسقى الحسن فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة لنا مكئ (٤) فحلبها فجاء الحسين فنحاه

٥ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قبل النبى صلى الله عليه وسلم الحسين بن على رضى الله عنهما وعنده الاقرع ابن حابس فقال : ان لى عشرة من الولد ، ما قبلت منهم أحدا ، فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال " من لا يرحم لا يرحم " (٤) .

٦ـ وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى والحسن والحسين يلعبان ويقعدان على ظهره (٥) .

٧ـ ودخل الحسن رضى الله عنه على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلى قد سجد ، فركب ظهره فأبطأ فى سجوده حتى نزل الحسن ، فلما فرغ قال له بعض أصحابه : يارسول ، أطلت سجودك ، فقال : " أن أبنى قد ارتحلنى فكرهت أن أعجله " (٦) .

---

(١) الفتح الربانى (٢٢ ـ ١٠٢) .
(٢) مكئ . أى قل لبنها أو انقطع .
(٣) الفتح الربانى (٢٢ ـ ١٠٥) .
(٤) رياض الصالحين (ص ١٢٢) .
(٥) كنز العمال (٧ ـ ٣٥) .
(٦) المواهب اللدنية (١ ـ ٢٩٥) .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : لما بعث أهل مكة فى فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فداء أبى العاص بن الربيع ـ زوجها وبعثت بمال وبعثت فيه بقلادة لها كانت لخديجة رضى الله عنها أدخلتها بها على أبى العاص حين بنى عليها ، قالت : فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة وقال : ان رأيتم أن تطلقوا لها أسرها وتردوا عليها الذى لها فافعلوا . فقالوا نعم يارسول الله وردوا عليها الذى لها (١) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما ماتت رقية وبكت النساء فجاء عثمان يضربهن ـ فقال صلى الله عليه وسلم : مهما يكن من العين والقلب ، فمن الله والرحمة ومهما يكن من اليد واللسان فمن الشيطان ـ فقعدت فاطمة على شفير القبر تبكى فجعل يمسح عينيها بطرف ثوبه (٢) .

وعن أسامة بن زيد قال . ارسلت بنت النبى صلى الله عليه وسلم ـ زينب رضى الله عنها ـ أن أبنى قد احتضر (٣) فأشهدنا فأرسل يقرئ السلام ويقول . أن الله ما أخذ وله أعطى وكل شئ عنده بأجل مسمى فلتصبرو لتحتسب فأرسلت اليه تقسم عليه ليأتيها فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب وزيد بن ثابت ورجال رضى الله عنهم فدفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبى فاقعده فى حجره ونفسه يقعقع (٤) . ففاضت عيناه فقال سعد . يارسول الله . ما هذا ؟ فقال : هذه رحمة جعلها الله تعالى فى قلوب عباده .

وفى رواية . " فى قلوب من شاء من عباده وانما يرحم الله من عباده الرحماء (٥) .

دفع الاذى عنهـــــم .

عن على بن حسين أن المسور بن مخرمة أخبره أن على بن أبى طالب خطب ابنة أبى جهل وعنده فاطمة ابنة النبى صلى الله عليه وسلم فلما سمعت بذلك فاطمة أتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت له ان قومك يتحدثون أنك لا تغضب لبناتك ؟ وهذا على ناكح ابنة أبى جهل .

قال المسور . فقام النبى صلى الله عليه وسلم فسمعته حين تشهد ثم قال : أما بعد فانى أنكحت أبا العاص بن الربيع فصدقنى . وان فاطمة بنت محمد بضعة منى وأنا أكره ان يفتنوها وانها والله

---

(١) الفتح الربانى (٩٧/٢٢) .
(٢) الفتح الربانى (٩٢/٢٢) .
(٣) حضرته مقدمات الموت .
(٤) يتحرك ويضطرب .
(٥) رياض الصالحين (ص ٣٢) .

الرسول صلى الله عليه وسلم لا يجامل أولاده على حساب الامة :

عن على كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوجه فاطمة رضى الله عنها بعث معها بحمله ووسادة أدم حشوها ليف ورحاءين وسقاء وجرتين فقال على لفاطمة ذات يوم . والله لقد سنوت (١) حتى اشتكيت صدرى ، فقد جاء الله أباك بسبى ، فاذهبى فاستخدميه . فقالت . وأنا والله قد صحنت حتى مجلت (٢) يداى ، فأتت النبى صلى الله عليه وسلم فقال " ماجاء بك يابنية ؟ " قالت جئت لاسلم عليك ، واستحيت أن نساله ورجعت فقال مافعلت ؟ قالت . استحييت أن أساله ، فأتياه جميعا ، فقال على : والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدرى ، وقالت فاطمة . قد طحنت حتى مجلت يداى وقد أتى الله بسبى وسعة ، فاخدمنا (٣) ، قال : " والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم ، لا أجد ما أنفق عليهم ولكنى أبيعهم — أى السبى — وأنفق على أهل الصفة من اثمانهم (٤) .

صلحه صلى الله عليه وسلم بين بناته وأزواجهن :

قال عمرو بن سعيد كان فى على رضى الله عنه على فاطمة . فقالت : والله لاشكونك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلقت وانطلق على بأثرها ، فقام حيث يسمع كلامهما ، فشكت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم غلظ على وشدته عليها فقال : " يابنية اسمعى واستمعى واعقلى " انه لا امرة لا مرأة لا تأتى هو زوجها ، وهو ساكت قال على : فكففت عما كنت أصنع ، وقلت والله لا آتى شيئا تكرهينه أبدا (٥) .

وقال حبيب بن أبى ثابت : كان بين على وفاطمة كلام فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فألقى له مثالا (٦) فاضطجع عليه ، فجاءت فاطمة فاضجعت من جانب ، وجاء على فاضطجع من جانب فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد على فوضعها على سرته (٧) واخذ بيد فاطمة فوضعها على سرته ولم يزل حتى أصلح بينهما ، ثم خرج .

قال : فقيل له دخلت وأنت على حال ، وخرجت ونحن نرى البشر فى وجهك فقال . وما يمنعنى وقد اصلحت بين أحب اثنين الى (٨) .

---

(١) أى حملت آلة السقى .
(٢) مجلت بفتح الميم والجيم . أى ورمت .
(٣) اجعل لنا خادما .
(٤) الطبقات لابن سعد (٨/٢٥) .
(٥) الطبقات لابن سعد (٨ — ٢٦) .
(٦) مثالا . أى فراشا .
(٧) المراد أنه قد وضعها على صدره كما وضع يد فاطمة كذلك فالتقتا فتصالحا والله أعلم .
(٨) الطبقات لابن سعد (٨ — ٢٥) .

صبره صلى الله عليه وسلم على موت أولاده :

عن أبى امامة ، رضى الله عنه قال : لما وضعت أم كلثوم ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى " .

قال (١) : ثم لا أدرى : أقال " بسم الله وفى سبيل الله وعلى ملة رسول الله أم لا " .

فلما بنى عليها لحدها ، طفق يطرح لهم الجبوب (٢) ويقول : " سدوا خلال اللبن (٣) ثم قال " أما أن هذا ليس بشىء ولكن يطيب بنفس الحى " (٤) .

وروى جابر رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ بيد عبد الرحمن بن عوف فأتى به النخل (٥) فاذا ابنه ابراهيم فى حجر أمه يجود نفسه ، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه فى حجره ، ثم قال " يا أبراهيم انا لا نغنى عنك من الله شيئا ، ثم ذرمت عيناه !! ثم قال : " يا ابراهيم ، لولا أنه أمر حق ووعد صدق ، وأن آخرنا سيلحق أولنا ، لحزنا عليك حزنا هو أشد من هذا ، وانا بك يا ابراهيم لمحزونون تبكى العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب " (٦) .

---

(١) أى راوى الحديث .
(٢) الجبوب : بفتح الجيم أى الرمال .
(٣) أى الطوب .
(٤) الفتح الربانى (٩٩/٢٢) .
(٥) النخل : المكان الذى تقطن فيه مارية .
(٦) أسد الغابة (٣٩/١) .

أخلاقه صلى الله عليه وسلم مع أعدائه

أخلاقه صلى الله عليه وسلم مع اعدائه :

لقد كانت أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم الكريمة ، وشمائله الطيبة سببا فى نشر دين الله تعالى ، وجمع كلمة المسلمين ، وتأليف قلوب الناس حوله صلى الله عليه وسلم ، وصدق الله العظيم اذ يقول : (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ...) (١) ولقد تعدت هذه الاخلاق حدود المؤمنين به حتى شملت أعداءه .

وهذه بعض الصور لتلك الاخلاق العظيمة :

١- صبره على أعدائه واحسانه اليهم :

١- عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ، مالم تكن حرمة من محارم الله ، وما ضرب بيده خادم ولا امرأة قط (٢) .

٢- وعنها رضى الله عنها قالت : لم يكن رسول الله صلى الله عليهوسلم فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا فى الاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح (٣) .

٢- وعن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - قال كان صلى الله عليه وسلم يقبل بوجهه وحديثه على شر القوم يتألفه بذلك (٤) .

٢- عفوه عن مسيئهم :

١- جاء زيد بن سعنة قبل اسلامه يتقاضى رسول الله صلى الله عليه وسلم دينا كان عليه فجبذ ثوبه عن منكبه ، وأخذ بمجامع ثيابه وأغلظ له ، ثم قال : انكم يابنى المطلب مطل ، فانتهره عمر رضى الله عنه وشدد له فى القول ، والنبى صلى الله عليه وسلم يبتسم !!.

فقال صلى الله عليه وسلم : " أنا وهو كنا الى غير ذلك أحوج منك ياعمر !! تأمرنى بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضى " ، ثم قال له : " لقد بقى من أجله ثلاث " ثم أمر عمر أن يقضيه ماله ، ويزيده عشرين لما روعه فكان ذلك سبب اسلام زيد رضى الله عنه (٥) .

(١) آل عمران (١٥٩) .
(٢) رواه الشيخان - (الشفا جـ ١ ص ٨٣) .
(٣) رواه الترمذى - (الشفا جـ ١ ص ٩١) .
(٤) رواه الطبرانى - (كنز العمال جـ ٧ ص ٩٨) .
(٥) رواه ابن حبان والبيهقى والطبرانى - (الشفا جـ ١ ص ٨٣ ، ٨٤) .

٢ــ عن جابر بن عبد الله ــ رضى الله عنه قال : لما تصدى غورث بن الحارق لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليفتك به ، والرسول منكبذ تحت شجرة وحده قائلا ، والناس قائلون فى غزاه ، فلم ينتبه الرسول الا وهو قائم (السيف صلتا فى يده فقال : من يمنعك منى ؟ فقال صلى الله عليه وسلم " الله " فسقط السيف من يده ، فأخذه النبى صلى الله عليه وسلم وقال : " من يمنعك منى " فقال : كن خير آخذ ، فتركه صلى الله عليه وسلم وعفا عنه فجاء غورث الى قومه فقال : جئتكم من عند خير الناس (١) .

٣ــ امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل المنافقين من آمثال عبد الله بن أبى ، وقال لمن أشار بقتلهم " لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه "(٢) .

٤ــ وعن أنس ــ رضى الله عنه ــ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عفا عن اليهودية التى سمته بعد اعترافها (٣) .

٥ ـ وجىء برجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل : ان هذا أراد أن يقتلك فقال له : " لن تراع ، ولو أردت ذلك لم تسلط على " (٤) .

٣ــ كان صلى الله عليه وسلم لايدعو عليهم :

١ــ قال عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ بأبى انت وأمى يارسول الله ، لقد دعا نوح على قومه فقال " رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا " ولو دعوت علينا بمثلها لهلكنا من عند آخرنا ، ولقد ، وطىء ظهرك ، وأدمى وجهك !! فأبيت أن تقول الا خيرا فقلت : اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون (٥) .

٢ــ وعن عائشة ــ رضى الله عنها قالت : لما كذب الرسول صلى الله عليه وسلم قومه : أتاه جبريل عليه السلام فقال : " ان الله تعالى قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا به عليك ، وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم " . فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال : مرنى بما شئت : أن أطبق عليهم الاخشبين ، فقال صلى الله عليه وسلم : " بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا " (٦) .

---

(١) رواه البيهقى ــ (الشفا جـ ١ ص ٨٢) .
(٢) رواه الشيخان ــ (المصدر السابق) .
(٣) رواه الشيخان ــ (المصدر السابق) .
(٤) رواه أحمد والطبرانى ــ (المصدر السابق ص ٨٣) .
(٥) ذكره القاضى عياض ــ (الشفا جـ ١ ص ٨١) .
(٦) رواه الشيخان (الشفا جـ ١ ص ٩٧ ، ٩٨) .

٣- وعن ابن عباس - رضى الله عنهما قال : قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبا . ونؤمن بك !! قال : وتفعلون" ؟؟ قالوا : نعم !! فأتاه جبريل عليه السلام فقال ، أن ربك عز وجل يقرأ عليك السلام ، ويقول ، ان شئت أصبح (١) لهم الصفا ذهبا ، فمن كفر منهم بعد ذلك عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين !! وأن شئت ، فتحت لهم باب التوبة والرحمة فقال صلى الله عليه وسلم " بل التوبة والرحمة !! " (٢) .

---

(١) أصبح . بفتح فسكون ففتح .
(٢) رواه أحمد - (الوفا ج ٢ ص ٤٣٠) .

بعض صفاته الخلقية

بعض صفاته الخلقيـــة :

وكما كان ــ صلى الله عليه وسلم ــ فريدا فى صفاته الخلقية ، وشمائله الكريمة ، فانه كان ــ كذلك ــ فريدا فى صفاته الخلقية والجسمية .

وهذه بعض صفاته كما روتها كتب السيرة والشمائل :

(١) فعن على بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ أنه قال :

" لم يكن بالطويل الممغط (١) ، ولا القصير المتردد ، وكان ربعة من القوم ، ولم يكن بالجعد القطط (٢) ، ولا بالسبط (٣) كان جعدا رجلا ، ولم يكن بالمطهم ولا المكلثم (٤) ، وكان فى الوجه تدوير ، أبيض مشربا ، أدعج العينين (٥) ، أهدب الاشفار (٦) ، جليل المشاش والكتد (٧) ، أجرد ذو قسربة ، شثن الكفين والقدمين (٨) ، اذا مش تقلع (٩) كأنما يمش فى صبب ، واذا التفت التفت معا ، بين كتفيه خاتم النبوة ، أجود الناس كفا ، وأرحب الناس صدرا ، وأصدق الناس لهجة ، وأوفى الناس ذمة ، وألينهم عريكة (١٠) ، وألزمهم عشرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه ، يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده مثله " (١١) .

كما وصفه بقوله :

" لم يكن فاحشا ، متفحشا (١٢) ولا صخابا (١٣) فى الاسواق ، ولايجزى السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ماضرب بيده شيئا قط ، الا أن يجاهد فى سبيل الله ولا ضرب خادما ولا امرأة ، وما رأيته منتصرا من مظلمة ظلمها قط مالم ينتهك من محارم الله تعالى شىء ، فاذا انتهك من محارم الله ، كان من أشدهم غضبا ،

---

(١) الممغط : الذاهب طولا (٢) أى القصيــر .
(٣) السبط بفتح السين وسكون : ضد القصير .
(٤) المطهم : هو الممتلىء الجسم ، والمكلثم : شديد تدوير الوجه ، أى لم يكن سمينا ولا ضعيفا هزيلا ، بل كان وسطا بين ذلك .
(٥) أى شديد سواد الحدقة (٦) أى طويل أشفار العين .
(٧) جليل المشاش : أى عظيم رءوس العظام ، كالركبتين والمرفقين ، والكتد : الكاهل
(٨) أى غليظ الكفين والقدمين (٩) أى طبيعة .
(١٠) تقلع : أى شديد المشيه .
(١١) رواه ابن كثير فى شمائل الرسول ص ٤٤ .
(١٢) أى لم يكن الفحش له خلقيا ولا كسبيا ، فلم يكن من خلقه الفحش ولا تكلفه .
(١٣) أى ليس صياحا .

وماخير بين أمرين الا اختار أيسرهما ، واذا دخل بيته كان بشرا من البشر ، يغلى (١) ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه .

كان يخزن لسانه الا فيما يعنيه ، ويوءلفهم ولا ينفرهم ، ويكرم كريم كل قوم ، ويوليه عليهم ، ويحذر الناس ، ويحترس منهم ، من غير أن يطوى على أحد منهم بشره (٢) ، ولا خلقه ، ويتفقد أصحابه ويسأل الناس عما فى الناس ، ويحسن الحسن ويقويه ، ويقبح القبيح ويوهيه ، معتدل الامر غير مختلف ، ولا يغفل مخافة أن يغفلوا ويملوا ، لكل حال عنده عتاد (٣) ، ولا يقصر عن الحق ، ولا يجاوزه ، الذين يلونه من الناس خيارهم ، وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة ، وأعظمهم عنده منزلة ، أحسنهم مواساة وموءازرة (٤) ولايقوم ولايجلس الا على ذكر ، واذا انتهى عند قوم جلس حيث ينتهى به المجلس ، ويأمر بذلك ، يعطى كل جلسائه نصيبه ، لايحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه ، من جالسه أو فاوضه فى حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف ، ومن سأله حاجته لم يرده الا بها أو بميسور من القول ، وقد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده فى الحق سواء ، مجلسه مجلس علم وحياء وصبر وأمانة ، ولا ترفع فيه الاصوات ولا توءبن (٥) فيه الحرم ، ولا تثنى فلتاته (٦) ، متعادلين يتفاضلون فيه بالتقوى ، ويوقرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير ويوءثرون ذا الحاجة ، ويحفظون الغريب

وقال : " كان دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ، ولا عياب ، ولا مشاح (٧) ، يتغافل عما لا يشتهى ، ولا يوءيبس منه ، ولا يجيب فيه (٨) ، قد ترك نفسه من ثلاث " المراد ، والاكبار ، ومالا يعنيه ، وترك الناس من ثلاث : كان لايذم أحدا ولا يعيبه ولا يطلب عورته ولايتكلم الا فيما رجاء ثوابه ، واذا تكلم أطرق جلساوءه كأنما على روءسهم الطير ، فأذا سكت تكلموا ، لايتنازعون عنده الحديث ومن تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ ، حديثهم عنده حديث أولهم ، يضحك مما يضحكون ، ويتعجب مما يتعجبون ، ويصبر للغريب على الجفوة فى منطقه ومسألته حتى كان أصحابه يستجلبونهم ، ويقول : اذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فأرفدوه (٩) ولا يقبل الثناء الا من مكافىء (١٠) ، ولايقطع على أحد حديثه حتى يجوز (١١) فيقطعه بنهى أو قيام .

---

(١) يغلى : أى ينقيه . (٢) بشره : أى بشاشته .
(٣) عتاد : بفتح العين : أى التأهب والاستعداد
(٤) الموءازرة : المعاونة .
(٥) توءبن : أى لا تعاب ولا تقذف فى مجلسه الحرمات .
(٦) لا تثنى : أى لا تشاع ، وفلتاته : أى زلاته على تقدير وجودها .
(٧) مشاح : اسم فاعل من الشح وهو أشد البخل .
(٨) أى : لا يجيب أحدا فيما لا يشتهى ، بل يسكت عنه تكرما .
(٩) فأرفدوه : أى أعينوه وأعطوه ، مأخوذ من الارفاد ، وهو الاعطاء .
(١٠) أى المقتصد ، أو المكافىء على نعمة أسديت اليه ، لا المبتدىء بالثناء .
(١١) يجوز : أى يتجاوز عن الحق والحد المعقول .

" أجود الناس صدرا ، وأصدق الناس لهجة ، وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده مثله ــ صلى الله عليه وسلم .

وقد كسا الله نبيه لباس الجمال ، وألقى عليه محبة ومهابة منه .

(٢) وجاءت صنعته ــ صلى الله عيه وسلم ــ فى حديث أم معبد ، حينما قدم عليها فى طريق هجرته الى المدينة المنورة ، ومعه أبو بكر ، ومولاه عامر بن فهيرة ، ودليلهم عبد الله بن أريقط ، فسألوها هل عندها لبن أو لحم يشترونه منها ؟ فلم يجدوا عندها شيئا ، وقالت : لو كان عندنا شىء ما أعوزكم القرى ، وكانوا ممحلين ، فنظر الى شاة فى كسر (١) خيمتها فقال : " ماهذه الشاة يا أم معبد؟ فقالت : خلفها الجهد . فقال : أتأذنين أن أحلبها ؟ فقالت : ان كان بها حلب فأحلبها . فدعا بالشاة فمسحها ، وذكر اسم الله ، فحلب منها ما كفاهم أجمعين ، ثم حلبها وترك عندها اناءها ملاءى .

فلما جاء بعلها استنكر اللبن وقال : من أين لك هذا يا أم معبد ولا حلوبة فى البيت ، والشاه عازب ؟ .
فقالت : لا والله ، انه مر بنا رجل مبارك ، كان من حديثه كيت وكيت .
فقال : صفيه لى ، فوالله انى لاراه صاحب قريش الذى تطلبه .
فقالت : رأيت رجلا ظاهر الوضاءة ، حسن الخلق ، مليح الوجه ، لم تعبه تجله ، ولم تزر به صعلة (٢) ، وسيم (٣) ، فى عينيه دعج (٤) ، وفى اشفاره وطف (٥) وفى صوته صحل (٦) ، أجور ، أكحل ، أزج أقرن (٧) ، فى عنقه سطع (٨) ، وفى لحيته كثاثة ، اذا صمت فعليه الوقار ، واذا تكلم سما وعلاه البهاء ، حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر (٩) ، كأن منطقه خرزات نظم ينحدرن ، أبهى الناس ، وأجمله من بعيد ، وأحلاه وأحسنه من قريب ، ربعة ، لا تشنوءه (١٠) عين من طول ، ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظرا ،

---

(١) أى جانبها .
(٢) الشجلة : عظم البطن ، والصعلة : صغر الرأس .
(٣) الوسيم : حسن الخلق (٤) الدعج : شدة سواد الحدقة .
(٥) الوطف : طول أشفار العينين (٦) أى فى صوته بحة .
(٧) ازج : هو المتقوس الحاجبين ، والاقرن : هو التقاء الحاجبين بين العينين ، ولايعرف هذا فى صفته صلى الله عليه وسلم ، بل المعروف أنه كان أبلج الحاجبين .
(٨) أى طول ونور . (٩) أى ليس كلامه كثيرا ولا قليلا .
(١٠) لاتشنوءه : أى لا تبغضه ، يعنى ليس بالطويل ولا بالقصير ، بل وسط بين ذلك .

وأحسنهم قدا ، له رفقاء يحفون به ، ان قال استمعوا لقوله ، وان أمر تبادروا الى أمره ، محفود محشود (١) ، لا عابس ولا مفند .

فقال بعلها : هذا والله صاحب قريش الذى تطلب ، ولو صادفته لالتمست أن أصحبه ، ولاجهدن ان وجدت الى ذلك سبيلا " .

قال : وأصبح صوت بمكة عال بين السماء والارض يسمعونه ولا يرون من يقول ، وهو يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه ... رفيقين حلا خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبرّ وارتحلا به ... فأفلح من أمس رفيق محمد
فيا لقصىّ ما زوى الله عنكم ... به من فعال لا تجازى وسؤدد
سلوا أختكم عن شاتها وانائها ... فانكم ان تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت ... له بصريح ضرة الشاة مزبد (٢)
فغادره رهنا لديها لحالب ... يدر لها فى مصدر ثم مورد

وقد روى أن أبا معبد أسلم بعد ذلك ، وأن أم معبد هاجرت الى المدينة المنورة وأسلمت أيضا . (٣)

(٣) وعن الحسن بن على قال : سألت خالى هند بن أبى هالة (٤) ، وكان وصافا ، عن حلية رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأنا أشتهى أن يصف لى منها شيئا أتعلق به فقال :
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، اطول من المربوع وأقصر من المشذب (٥) عظيم الهامة رجل الشعر ، اذا تفرقت عقيصته (٦) فرق ، والا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه ، ذا وفرة ، أزهر اللون ، واسع الجبين أزج (٧) الحواجب سوابغ فى غير قرن ، بينهما عرق يدره الغضب ، أقنى (٨) العرنين ، له نور يعلوه . يحسبه من لم يتأمله أشم (٩) ، كث

---

(١) المحفود : المخدوم ، والمحشود : المجموع له .
(٢) الضرة : أصل الضرع .
(٣) راجع : السيرة النبوية لابن كثير (٢٥٧/٢ ومابعدها بتحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد ، شمائل الرسول لابن كثير ص ٤٤ومابعدها .
(٤) هو ربيب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أمه خديجة بنت خويلد – زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٥) المشذب : الطويل البائن ، مأخوذ من النخلة الطويلة التى شذب جريدها .
(٦) العقيصة : الشعر المعقوص . (٧) الازج : المقوس
(٨) القى : طول الانف ودقة أرنبته وحدب فى وسطه .
(٩) الشمم : ارتفاع قصبة الانف مع استواء أعلاها .

اللحية أدعج ، سهل الخدين ضليع الفم أشنب (١) مفلج الاسنان ، دقيق المربة كأن عنقه جيد دمية (٢) فى صفاء يعنى الفضة ، معتدل الخلق ، بادن متماسك (٣) ، سواء البطن والصدر ، عريض الصدر بعيد مابين المنكبين ضخم الكراديس ، أنور المتجرد (٤) موصول مابين اللبة والسرة بشعر يجرى كالخط (٥) عارى الثديين والبطن مما سوى ذلك ، أشعر الذراعين والمنكبين واعالى الصدر ، طويل الزندين (٦) رحب الراحة ، سبط القصب (٧) شثن الكفين والقدمين ، سائل الاطراف ، خمصان الاخمصين (٨) . مسيح القدمين ينبو عنهما الماء اذا زال زال قلعا ، يخطو تكفيا ويمشى هونا ، ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط من صبب ، واذ التفت جميعا ، خافض الطرف ، نظره الى الارض أطول من نظره الى السماء ، جل نظره الملاحظة ، يسوق أصحابه ، ويبدأ من لقيه بالسلام .

قلت : صف لى منطقه . قال :
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان ، دائم الفكرة ، ليست له راحة ، لايتكلم فى غير حاجة ، طويل السكوت ، يفتتح الكلام ويختمه باشراقه ، يتكلم بجوامع الكلم ، فصل لا فضول ولا تقصير ، دمث (٩) ليس بالجافى ولا المهين ، يعظم النعمة وان دنت ، لايذم منها شيئا ولا يمدحه ، ولا يقوم لغضبه اذا تعرض للحق شىء حتى ينتصر له .

وفى رواية : لا تغضبه الدنيا وما كان لها ، فاذا تعرض للحق لم يعرفه أحد ، ولم يقم لغضبه شىء حتى ينتصر له ، لايغضب لنفسه ولا ينتصر لها ، واذا أشار أشار بكفه كلها ، واذا تعجب قلبها ، واذا تحدث يصل بها ، يضرب براحته اليمنى باطن ابهامه اليسرى ، واذا غضب أعرض وأشاح (١٠) ، واذا فرح غض طرفه ، جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام .

قال الحسن : فكتمتها الحسين بن على زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقنى اليه فسأله عما سألته عنه ، ووجدته قد سأل أباه عن مدخله ومخرجه ومجلسه وشكله

---

(١) الضليع : الواسع ، والاشنب : الابيض مأخوذ من الشنب وهوالبياض والبريق وحدة الاسنان .
(٢) الجيد : العنق . والدمية : الصورة التى بولغ فى تحسينها .
(٣) البادن : الضخم . والمتماسك : غير المسترخى اللحم .
(٤) الانور : المشرق . والمتجرد : بفتح الراء ــ موضع التجرد عن الثوب ، وبكسرها العضو العارى عن الثوب .
(٥) اللبة : النقرة التى فوق الصدر . كالخط : فى الطول والدقة .
(٦) أى طويل الذراعين .
(٧) السبط : المخمد الذى يجلس فيه تعقد ، والقصب : غطاء الاصابع .
(٨) الخمصان : الضامر (٩) الدمث : السهل السمح .
(١٠) دقت : أى صفرت وقلت .

فلم يدع منه شيئا .

قال الحسين : سألت أبى عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كان دخوله لنفسه ، مأذون له فى ذلك ، وكان اذا أوى الى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء : جزءا لله وجزءا لاهله وجزءا لنفسه ، ثم جزأ جزأه بين الناس فرد ذلك على العامه بالخاصة (١) لايدخر عنهم شيئا .

وكان من سيرته فى جزء الامة : ايثار أهل الفضل بأدبه وقسمه على قدر فضلهم فى الدين ، فمنهم ذو الحاجة ، ومنهم ذو الحاجتين ، ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم والامة من مسألته عنهم ، واخبارهم بالذى ينبغى ، ويقول : "ليبلغ الشاهد الغائب ،وأبلغونى حاجة من لايستطيع ابلاغى حاجته ، فانه من بلغ سلطانا حاجة من لايستطيع أبلاغها اياه ثبت الله قدميه يوم القيامه ، لايذكر عنده الا ذلك ولايقبل من أحد غيره ، يدخلون عليه زوارا ولا يفترقون الا عن ذواق (٢) .

وفى رواية : ولا يتفرقون الا عن ذوق ، ويخرجون أدلة ، يعنى فقهاء .

قال : وسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه ؟
فقال :
كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يخزن لسانه الا فيما يعنيه ، ويؤلفهم ولا ينفرهم ، ويكرك كريم كل قوم ويوليه عليهم ، ويحذر الناس، ويحترس منهم ، من غير أن يطوى عن أحد منهم بشره ولا خلقه ، يتفقد أصحابه ، ويسأل الناس عما فى الناس ، ويحسن الحسن ويقويه ، ويقبح القبيح ويوهيه ، معتدل الامر غير مختلف ، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا ، لكل حال عنده عتاد ، لا يقصر عن الحق ولا يجوزه (٣) ، الذين يلونه من الناس خيارهم ، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة ، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة .

قال : وسألته عن مجلسه كيف كان ؟
فقال :
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر ولا يوطن الاماكن (٤) وينهى عن ايطانها ، واذا انتهى الى قوم جلس حيث ينتهى به

---

(١) وأشاح : أى أعرض وبالغ فى الاعراض .
(٢) حب الغمام : أى البرد .
(٣) ومعنى ذلك : أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يعتمد على أن خاصة أصحابه يبلغون مايسمعونه منه الى العامة .
(٤) الذواق : العلم . وهو فى الاصل الطعام ، لان العلم للارواح بمنزلة الطعام للجسد .

المجلس ، ويأمر بذلك ، يعطى كل جلسائه نصيبه ، لايحسب جليسه أن احدا أكرم عليه منه ، من جالسه أو قاومه فى حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف ، ومن سأله حاجة لم يرده الا بها أو بميسور من القول ، قد وسع الناس منه بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده فى الحق سواء ، فجلسه مجلس حلم وحياء ، وصبر وأمانة ، لا ترفع فيه الاصوات ، ولا تؤبن (١) فيه الحرم ولا تنثى فلتاته (٢) متعادلين يتفاضلون فيه بالتقوى ، متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ، ويؤثرون ذا الحاجة ، ويحفظون الغريب .

قال : فسألته عن سيرته فى جلسائه فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح ، يتغافل عما لا يشتهى ولا يوئس منه (٣) ولانجيب فيه ، قد ترك نفسه من ثلاث : المراء ، والاكثار ومالا يعنيه ، وترك الناس من ثلاث : كان لايذم أحدا ولا يعيره ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه ، واذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير ، فاذا سكت تكلموا ، ولا يتنازعون عنده ، يضحك مما يضحكون منه ، ويتعجب مما يتعجبون منه ، ويصبر للغريب على الجفوة فى منطقه ومسألته ، حتى ان كان أصحابه يستجلبونه فى المنطق (٤) ويقول : اذا رأيتم طالب حاجة فارفدوه (٥) ولا يقبل الثناء الا من مكافىء (٦) ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بانتهاء أو قيام .

قال : فسألته كيف كان سكوته ؟ قال : كان سكوته على اربع : الحلم والحذر والتقدير والتفكير . فاما تقديره ففى تسويته النظر والاستماع بين الناس . واما تذكره ، أو قال تفكره ، ففيما يبقى ويفنى ، وجمع له صلى الله عليه وسلم الحلم والصبر فكان لا يغضبه شىء ولا يستفزه ، وجمع له الحذر فى أربع : أخذه بالحسنى ، والقيام لهم فيما جمع لهم الدنيا والاخرة صلى الله عليه وسلم (٧) .

---

(١) لاتؤبن : أى لا تنتهك فيه الحرمات .
(٢) ولا تنثى : أى لا تذاع ولا تشاع ، والفلتات : جمع فلته ، وهى الزلة على فرض وقوعها .
(٣) ولايوئس منه : أى لا يجعل أحدا ييأس منه .
(٤) أى يحاولون الاستفادة من مجلسه وكلامه ـ صلى الله عليه وسلم .
(٥) الرفد : الاعانة بالعطاء والصلة أو بالشفاعة .
(٦) المكافىء : المقتصد ، أو المكافىء على نعمة أسديت اليه ، لا المبتدىء بالثناء .
(٧) الشمائل لابن كثير ص ٥١ ـ ٥٤ .

الاســـوة والقـــــدوة :

تختتم هذه اللمحات السريعة من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما بدأنا به ، وهو أن الانسان يجد نفسه متحيراً فيما يأخذ وما يدع من صفات رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وشمائله ، والتى فاقت الحصر ، وأعجزت عن البيان ٠

فمن الواجب علينا ــ بعد ذلك ــ أن نقتدى به فى كل أفعاله ، وأن نجعله الاسوة والقدوة ٠

قال الشيخ الندوى رحمه الله تعالى :

" لقد مثلت حياة النبى صلى الله عليه وسلم ــ أعمالا كثيرة متنوعة ، بحيث تكون فيها الاسوة الصالحة ، والمنهج الاعلى ، للحياة الانسانية فى جميع اطوارها ، لانها جمعت بين الاخلاق العالية والعادات الحسنة والعواطف النبيلة المعتدلة ، والنوازع العظيمة القويمة ٠

اذا كنت غنيا مثريا ، فاقتد بالرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ عندما كان تاجرا يسير بسلعه بين الحجاز والشام ، وحين ملك خزائن البحرين ، وان كنت فقيرا معدما فلتكن لك اسوة به وهو محصور فى شعب أبى طالب ، وحين قدم الى المدينة مهاجرا اليها من وطنه، وهو لا يحملً من حطام الدنيا شيئا ، وان كنت ملكا فاقتد بسننه وأعماله حين ملك أمر العرب وغلب على آفاقهم ، ودان لطاعته عظماؤهم وذوو أحلامهم ، وان كنت رعيا ضعيفا ، فلك فى رسول الله أسوة حسنة أيام كان محكوما بمكة فى نظام المشركين ، وان كنت فاتحا غالبا ، فلك من حياته نصيب أيام ظفره بعدوه فى بدر وحنين ومكة ، وان كنت منهزما ــ لا قدر الله ذلك ــ فاعتبر به فى يوم أحد وهو بين أصحابه القتلى ورفقائه المثخنين بالجراح ، وان كنت معلما ، فانظر اليه وهو يعلم أصحابه فى صفة المسجد ، وان كنت تلميذا متعلما ، فتصور مقعده بين يدى الروح الامين جاثيا مسترشدا ، وان كنت واعظا ناصحا ومرشدا أمينا ، فاستمع اليه وهو يعظ الناس على أعواد المسجد النبوى ، وان أردت أن تقيم بالحق وتصدع بالمعروف وأنت لا ناصر لك ولا معين ، فانظر اليه وهو ضعيف بمكة لا ناصر له ينصره ، ولا معين يعينه ، ومع ذلك فهو يدعو الى الحق ويعلن به ، وان هزمت عدوك وخضدت شوكته وقهرت عناده ، فظهر الحق على يديك وزهق الباطل ، واستتب لك الامر ، فانظر الى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوم دخل مكة ، وفتحها ، وأن أردت أن تصلح أمورك ، وتقوم على ضياعك ، فأنظر اليه ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقد ملك ضياع بنى النفير وخيبر ، وفدك ، كيف دبر أمورها ، وأصلح شئونها ، وفوضها الى من أحسن القيام عليها ، وان كنت يتيما ، فانظر الى فلذة كبد آمنة وزوجها عبد الله ، وقد توفيا وابنهما صغير رضيع ، وان كنت صغير السن ، فأنظر الى ذلك الوليد العظيم حين أرضعته مرضعته الحنون حليمة السعدية ، وان كنت شابا فأقرأ سير راعى مكة ، وان كنت تاجرا مسافرا بالبضائع ، فلاحظ شئون سيد القافلة التى قصدت " بصرى" وان كنت قاضيا

أو حكما فأنظر الى الحكم الذى قصد الكعبة قبل بزوغ الشمس ليضع الحجر الاسود فى محله ، وقد كاد روءساء مكة يقتتلون ، ثم ارجع البصر اليه مرة أخرى وهو فى فناء مسجد المدينة يقضى بين الناس بالعدل ، يستوى عنده منهم الفقير المعدوم ، والغنى المثرى ، وان كنت زوجا فأقرأ السيرة الطاهرة والحياة النزيهة لزوج خديجة وعائشة وان كنت أب أولاد ، فتعلم ماكان عليه والد فاطمة الزهراء ، وجد الحسن والحسين ، وايا من كنت ، وفى أى شأن كان شأنك فانك مهما أصبحت أو أمسيت ، وعلى أى حال بت أو أضحيت ، فلك فى حياة محمد — صلى الله عليه وسلم — هداية حسنة ، وقدوة صالحة تضىء لك بنورها دياجى الحياة ، وينجلى لك بضوئها ظلام العيش ، فتصلح ما اضطرب من أمورك ، وتثقف بهديه أودك ، وتقوم بسننه عوجك ، وان السيرة الطيبة الجامعة لشتى الامور هى ملاك الاخلاق ، وجماع التعاليم لشعوب الارض ، وللناس كافة فى أطوار الحياة كلها ، وأحوال الناس على اخلافها وتنوعها ، فالسيرة المحمدية نور للمستنير وهديها نبراس للمستهدى ، وارشادها ملجأ لكل مسترشد (١)

وصدق الله العظيم اذ يقول :

" لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا " .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

شعبان محمد اسماعيل

---

(١) الرسالة المحمدية ص ١٣٥ — ١٣٧ تعريب الاستاذ محمد ناظم الندوى .

الفهـــــرس

